روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

22

Looloo
www.dvd4arab.com

# الغائر

مجدي

وهى دعوة مفتوحة لكل قارئ أيضًا ..

ووعد بالجديد دائمًا ..

أرسل أعمالك وأفكارك واقتراحاتك على عنوان المؤسسة ، وإن كانت تصلح فسترى حلمك يخرجك إلى النور فى شكل كتاب ..

إنها دعوة مستمرة لا تتقيد بحدود الزمان والمكان ، الشرط الوحيد أن يكون عملك صالحًا ..

أسرع ، فنحن فى الانتظار ..

المؤسسة العربية الحديثة

# ١

انهمرت مياه الشرب عاكسة لألاء الشمس المتوهجة ، واستكانت صفحة البحيرة الهادئة التى يخترقها مجرى النهر أعلى الشلال وأسفله ، فى منطقة يكسو رمالها وجبالها الاخضرار الجميل ؛ ليصنع لوحة نوبية قل أن يوجد نظيرها فى عموم القطر الفرعونى كله ..

نعم ، إنها معركة أخرى ..

ومتى لم يكن الأمر كذلك ؟!

جيوش فرعون أتت لتقمع تمردًا آخر ؛ ولتعتقل عددًا لا بأس به من ذوى البشرة الداكنة والعيون الغائرة ، وقد خيّم الجنود حول قمة الشلال يلتمسون بعض الراحة والسكينة إثر أيام طاحنة من القتال المرير ..

جنود يسبحون ، جنود يتصايحون ويعبثون ، جنود يأكلون ويشربون ، جنود ساكنون يتأملون بروح فنية مكبوتة الجمال الآسر للطبيعة المحيطة ، جنود وجنود ، وأسرى يرمقونهم بعيون يأكلها الذل ، وتأكله ..

وبين هذا كله شاب يرتدى زى الحرب الرث ، شاب نحيل

القد ، طويل القامة ، عظام وجهه بارزة وملامحه تجافيها الوسامة وإن كانت تشى ببعض خفة الظل ؛ شاب سائر ينظر فى الوجوه وفى الخيول الرابضة على مقربة وفى داخل الخيام المنصوبة ، كأنه يبحث عن شىء ضاع منه ..

أو عن شخص ما ..

ـ سأعلم أين أجدك يا ( رامو ) !

غمغم بها الشاب النحيل لنفسه ، ومن فوره انطلق نحو منخفض الشلال ..

نظر لأسفل فحجبت فروع أشجار متشابكة الرؤية قليلاً عنه ، لكنه إذ لمح بعض الحركة هناك ابتسم بينه وبين نفسه ، وانطلق يقفز فوق الصخور الهابطة لأسفل فى حذر ؛ حتى لا تزل قدمه فيسقط عند السفح ؛ جثة يمتزج لحمها بالعظام ..

واستطاع فعلها أخيرًا ..

فور أن لامست قدمه الكبيرة الأرض ، انطلق يهرول فى خفة نحو النقطة التى لمح عندها الحركة الخاطفة ، وبمجرد بلوغها توقف ، كانت هناك شجرتان كبيرتان تتشابك غصونهما العاشقة فوق رأسه ، وكانت حافة البحيرة تكاد تلامس قدميه المتربتين ، وكان سطح الماء ساكنًا لا يشى بوجود حياة ..



ـ .. ( رامو ) .. ( رامو ) ..

رفع الشاب النحيل عقيرته بالنداء ، ولما لم يجبه إلا صدى صوته ، والضجيج المنبعث من الجنود المعسكرين بالأعلى ، انعقد حاجباه وهو يغمغم لنفسه فى تساؤل :

ـ .. ترى ، هل خانتنى عيناى ، أم ... ؟!

وفجأة :

ـ ماذا تفعل عندك يا ( نفر ) ؟!

انتفض جسد ( نفر ) النحيل كأنه دودة شريطية ، وشهق فى فزع ناظرًا نحو جهة الصوت الذى تحول من الزعيق إلى ضحك عال مستمتع :

ـ .. لقد خدعتك يا رجل !

انعقد حاجبا ( نفر ) فى غضب وهو يرمق الرأس البارز من أسفل الماء ، الذى كان قبل ثوان ساكنًا لا يشى بوجود حياة ، وهتف فى ضيق طفولى :

ـ كنت مختبئًا تحت الماء إذن يا ( رامو ) !

( رامو ) مليح القسمات ، أسود العينين والشعر ، متناسق

الأبعاد ، يضحك فى استمتاع من بين الماء المحيط به من كل الجهات ، وهو يهتف فى سعادة :

ـ أحاول إتقان هذا منذ الطفولة كما تعلم ..

ـ أعلم ولكن ...

قالها (نفر) فى حيرة وهو يهرش فى شعر رأسه ، ثم إنه سأل ناظرًا حوله :

ـ .. أين ملابسك ؟!

ونظر إلى (رامو) الذى بدأ فى الاقتراب خارجًا من البحيرة ، بصدر عارٍ وسروال يستر منطقة الخصر فقط ، وببسمة فى اتساع العالم ..

وما إن بلغ (رامو) حد مواجهة صديقه ، حتى أشار لأعلى قائلاً :

ـ هذا أيضًا أحاول إتقانه منذ نعومة أظفارى ..

نظر (نفر) إلى حيث أشار ورأى ملابس الحرب معلقة على فرع بعيد لإحدى الشجرتين ، فهزَّ رأسه فى تفهم وهو يغمغم :

ـ تعنى تسلق الأشجار ؟!

ـ دعنى أريك ..



تابعته عينا (نفر) وهو يعتلى الشجرة ذات الجذع الضخم فى مهارة ولياقة عالية ، متمسكًا بالفروع البارزة ، ومعتمدًا بقدميه على الهواء ، ثم وهو يجلس على أحد الفروع القوية حيث علق ملابسه ، شارعًا فى ارتدائها على الفور ..

ـ بارع حقًا !

غمغم بها (نفر) لنفسه قبل أن يرى قلادة من الخرز تنتهى بسن مدبب من العاج تسقط أمامه على الأرض المعشوشبة ، فدنا منها قبل أن يعلو هتاف (رامو) من أعلى :

ـ إنها قلادتى لو لم تدرك ذلك وحدك !

أمسك بها (نفر) ورفع ناظريه لأعلى ، كان (رامو) قد ارتدى ملابسه الحربية كاملة ، ووقف على الفرع القوى باسمًا ، فهزَّ الأول رأسه وهو يقول :

ـ أعلم ، إنك لاتخلعها عن عنقك أبدًا منذ كنا أطفالاً أيضًا ..

غمزه (رامو) هاتفًا :

ـ ومنذ كنا أطفالاً وأنت تتمنى ارتداءها ، أليس كذلك ؟!

هزَّ (نفر) كتفيه وقال :

ـ نعم ، ليس الأمر كذلك .. كيف آخذ منك شيئًا هو ليس ملكًا لك أصلاً ؟!

ـ ماذا تعنى ؟!

سأله (رامو) وقد تلاشت بسمته الواسعة ، فأشاح (نفر) بيديه وهتف مغيرًا الموضوع :

ـ لا عليك يا (رامو) ، لم أعن شيئًا ذا بال .. لقد أنسيتنى ما جئت أبحث عنك بسببه ..

فوجئ (نفر) بـ (رامو) يقف أمامه فجأة ، وراعته فكرة أنه قفز من هذا الارتفاع الشاهق دون أن يتحول ـ بعد ـ إلى جثة يمتزج لحمها بالعظام ..

ـ جئت تبحث عنى بسبب إذن يا (نفر) ..

قالها (رامو) وهو يتناول قلادته من قبضة صديقه بملامح فيها صرامة وعبوس ، فلانت أصابع (نفر) حولها وهو يقول :

ـ أجل ، إن القائد قد أرسلنى فى طلبك !



ازداد عبوس (رامو) إذ تساءل ، متأملاً فى القلادة بشىء من الكراهية :

ـ القائد ؟!

هزَّ (نفر) رأسه فى صمت ، وتردد قليلاً قبل أن يغمغم :

ـ فى الغالب يتعلق الأمر بإجازتك التى ...

هنا تغير كل شىء من النقيض إلى النقيض مرة أخرى ؛ فقد أشرق وجه (رامو) فجأة ، وفوجئ (نفر) به يقبض على ذراعيه وهو يهتف فى حبور :

ـ حقًا ؟! أأنت واثق مما تقول يا (نفر) ؟!

ـ مجرد تخمين ، وأنت تعلم كم تصدق تخميناتى ..

قالها (نفر) ، ورد (رامو) عمليًا بارتدائه للقلادة حول عنقه فى سرعة ، وباختفائه المباغت ؛ إذ انطلق كالسهم إلى الصخور الصاعدة لأعلى نحو مخيم الجنود ، فيما هزَّ (نفر) كتفيه النحيلين قائلاً فى تسليم :

ـ هذا المجنون قائد فصيلة فى جيش الفرعون ، يا لعبث الأقدار !

★ ★ ★

ـ ثلاثة أيام فقط ؟!

نطق بها ( رامو ) ماطًا شفتيه فى امتعاض ، وهو يقف فى اعتداد أمام قائد جيش الفرعون ذى السمت المهيب والجلال الساكن شيب الرأس ، وتجاعيد الوجه الجامد ..

قال قائد الجيش فى رصانة :

ـ يكفيك هذا ويزيد ..

وقال ( رامو ) فى صراحة :

ـ كنت أطمح فى إجازة طويلة هذه المرة ..

لم تتحرك شعرة من تمثال القائد ، الذى قال رامقًا ( رامو ) بعينين عميقتين :

ـ الثلاثة أيام إجازة طويلة فى ظل ما نكابده ها هنا ..

غمغم ( رامو ) غير مقتنع :

ـ ظننت الأمن استتب قليلاً ..

ـ ليس بعد ..

قالها القائد فى حسم ثم أردف :

ـ .. مناوشات القبائل المتمردة ما زالت تقع ، وما زالت



فى حاجة للتعامل معها .. لا أستطيع المجازفة بخوض معركة من دونك ـ وأنت قائد أهم فصائلى ـ لمجرد أنك تريد إجازة طويلة تعود فيها إلى ( طيبة ) ..

حاول ( رامو ) أن يجادل أو يعاند :

ـ لكن الأيام الثلاثة لا تكفى لشىء ؛ إن الذهاب والإياب يستغرقان منى يومًا كاملاً على الأقل إن لم يكن أكثر ..

صمت القائد ، وألقى بصره بعيدًا نحو النهر المتدفق إلى الشمال ، حتى خال ( رامو ) أنه سيمنحه بعض الأيام الزائدة ، لكن الإحباط أتى فى النهاية :

ـ هذا كل ما أستطيع منحك إياه ، ولْتَدْعُ ألا تقع كارثة قبل عودتك !

محاولة فاشلة للجدل .. أو للعناد :

ـ لكن ...

ونهاية ناجحة للجدل .. أو للعناد :

ـ خذها أو اتركها وعد إلى فصيلتك ، قائد ( رامو ) ..

لهجة القائد الحازمة ، والرغبة الحارقة فى العودة ، وليالى

الشوق والحنين والكتمان ، وعرض إما أن يؤخذ كله أو يُترك كله ، كل هذا جعل ( رامو ) ينطق فى النهاية صاغرًا :

ـ ليكن ، سأعود بعد ثلاثة أيام ..

ابتسم القائد فى أعماقه ، ولم يستطع ( رامو ) أن يفعل ..

★ ★ ★

ـ نلتَ إجازتك إذن ..

قالها ( نفر ) فى غبطة لم تبلغ حد الحسد ، وهو يعدو خلف ( رامو ) الذى سار بين الخيام والجنود قاصدًا فرسه الرابض فى المؤخرة ..

ـ نلتها ولم أنلها ..

غمغم بها ( رامو ) فى غيظ ، ولم يبلغ قوله مسامع ( نفر ) الذى استمر يطارده ويقول :

ـ ستنعم بأيام من الراحة الخالصة ..

فى سخرية عاد ( رامو ) يغمغم لنفسه :

ـ ثلاثة أيام فحسب .. هه !



استمر ( نفر ) يلقى نحوه بكلماته الغابطة :

ـ وسترى الأميرة !

توقف ( رامو ) عن السير بغتة حتى كاد ( نفر ) يصطدم بظهره ، وظن الأخير أن قوله قد ضايق صديقه فقال متراجعًا :

ـ .. أنا لم أقصد أن ...

لكن ( رامو ) لم يعره التفاتًا ، وقد توجه بصره نحو نقطة محددة بين زحام الجنود والأسرى سرعان ما ركض نحوها ، تتابعه عينا صديقه المندهشتان ..

طفحت الدهشة أكثر من عينى ( نفر ) عندما شاهدتا ( رامو ) يتوقف أمام امرأة نوبية منكمشة على نفسها فى حبال الأسر ، وينحنى أمامها ممسكا بقلادة تتدلى من عنقها على هيئة جعران من الذهب ، منقوش بدقة وباهر الجمال ..

جفلت المرأة ، وجفل ( نفر ) ، بينما تبسم ( رامو ) مخاطبًا المرأة بسؤاله :

ـ هل تبيعينى هذه ؟!

هتف ( نفر ) فى استنكار :

ـ خذها على الفور يا رجل ، إنها من غنائم الحرب والمرأة أسيرة و...

قاطعه (رامو) فى استياء مصطنع :

ـ ش ش ش ش .. دعنى وشأنى يا (نفر) !

فصمت (نفر) عاقدًا ساعديه أمام صدره فى استياء حقيقى ، وعاد (رامو) يتحسس القلادة سائلاً المرأة :

ـ هه .. ما قولك ؟! هل تمنحينى إياها ؟! وبأى مقابل ؟!

مدت المرأة يدها نحو قلادته المنتهية بالسن العاجى ، وقالت فى جمود :

ـ هات هذه ، وخذها ..

استحوذ الأمر على انتباه (نفر) واهتمامه ، بينما انعقد حاجبا (رامو) وهو ينظر إلى سن العاج الأبيض فى يد المرأة السوداء ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ كلا ..

وترك الجعران يهوى على صدر المرأة ؛ ليفك بيده عن معصمه سوارًا من الذهب المزركش بالألوان ، ويمد بيده إلى المرأة قائلاً :

ـ .. خذى هذا فى مقابلها .. ما رأيك ؟!



تجمدت عينا المرأة فوق السن العاجى قليلاً ، لكن الصفقة تمت بسرعة ..

ـ لم تستطع التخلى عن قلادتك ..

قالها (نفر) لصاحبه الذى امتطى فرسه فى لهجة لها مغزى ، وأتاه الرد فى هيئة سؤال :

ـ ألا تريد منى أن أعود لك بشىء من (طيبة) ؟!

رد وتجاهل ..

هزّ (نفر) كتفيه النحيلين قائلاً :

ـ السلام أمانة لكل شبر فيها ..

دار (رامو) بالحصان حوله وهو يقول :

ـ سأعود بسرعة ..

غمزه (نفر) :

ـ منها أم إليها ؟!

ابتسم (رامو) :

ـ منها ، إننا لا نعود إليها بسرعة أبدًا ..

ـ سلامى أيضًا إلى الأميرة ( نفرت ) ..

ـ كف عن هذا يا ( نفر ) ..

ـ بالمناسبة ، الجعران جميل ، أظنه سيعجبها ..

ـ اهتم أنت بالأمور هنا جيدًا ريثما أعود ..

ـ ليكن .. فى انتظارك أيها العائد !

ـ هيا ..

هتف بها ( رامو ) لاكزًا بطن جواده بقدمه ، فانطلق به الجواد يطوى المسافات نحو الشمال مع وقع السنابك ، تتابعهما عينا ( نفر ) ..

ـ إلى لقاء يا صديقى ..

غمغم بها ( نفر ) ..

وغاب ( رامو ) عند صفحة الأفق البعيد ، على خلفية من قرص الشمس ، الغارب بين مويجات النيل الزرقاء ..

وبين جبال النوبة الذهبية ..

★ ★ ★

## ٢

( طيبة ) من جديد ..

المدينة الجميلة ذات المائة باب ، والأم العجوز التى لا تشيب لها خصلة أبدًا ..

( طيبة ) النهر ، والحقول ، والنخيل ، والمعابد ، والمسلات ، والقصور ، والمنازل ، والأعشاش ، والمراكب ، والسوق ، والفن ، والسحر ، والجمال ، والخلود ، والذكريات ، والحنين إلى ماض طفل لن يعود ..

( طيبة ) فى منتصف الظهيرة ، بعد رحلة طويلة شاقة استغرقت نهارًا وليلة ، على صهوة الفرس الأصيل ، وعلى أجنحة الشوق المستعر ..

( طيبة ) من جديد ، يا ( رامو ) ..

كادت عينا ( رامو ) تغرقان فى الدمع ، وهما تتأملان الأسوار التى تقترب من بعيد ، لكنه جاهد للتماسك ، وهو يغمغم نافثًا اللهب عبر تنهيدة طويلة :

ـ أخيرًا ..

تركه الحراس يعبر إحدى البوابات دون كثير من الجدال ، نظرًا لما يرتديه من ملابس عسكرية ، ولشارة القيادة البارزة على الجانب الأيسر من صدره العريض ..

واستقبله المهرجان فور دخوله ..

إنه عيد من الأعياد التى لا تفتأ تتوالى على المدينة ، فالزينات تغمر الشوارع ، وموسيقى الاحتفالات ملء الآذان والوجدان ، والزحام الكثيف يملأ كل ركن وعين ، والبهجة محفورة على الوجوه ، أقنعة من سعادة عابرة ، والمسيرات العسكرية هنا وهناك ..

إلى أين يا ( رامو ) وسط هذا الهرج المنظم ؟!

من أين يمكن أن تبدأ إجازتك القصيرة ؟!

المنزل والأب ؟!

الحبيبة التى يهفو إليها القلب ويحن ؟!

الأخ الأكبر فى غياهب المعبد الكبير ؟!

أم أخيك الأصغر ؟!

وأين يمكن أن تجده الآن إلا فى هذه الشوارع ؟!

إنه الأقرب إلى قلبك من أخيك الكاهن وأبيك الموظف المحترم فى الديوان الملكى ، برغم أنه مطرود من رحمة هذا الأب وهذا



الأخ ؛ لخروجه على قوانينه الصارمة ، وربما هذا بالتحديد ما يجعلك تعطف عليه وتشفق ..

أن لا أحد فى هذه الدنيا له الآن ، سواك ..

أنت وحدك ..

ابحث عنه إذن ، وستجده هنا فى السوق بالتأكيد ، مشاركًا فى الاحتفالات ..

ترجل ( رامو ) عن فرسه ، وسار بين المعروضات فى السوق ..

الفاكهة والأبقار والطيور والأقمشة والمشغولات وأدوات الزينة ، والنشوة تغمر أعطافه إذ امتلأ أنفه برائحة الوطن أخيرًا ، بعد غياب طال ..

سوق ( طيبة ) واسع ، مترامى الأطراف ، لكنه سيجوبه كله إن حتم الأمر ، بحثًا عن شقيقه الأصغر ( بيبى ) ..

و...

فجأة تجمدت ملامحه عندما نظر إلى قدم تركل مشنة فاكهة فتقلبها وتنثر ما فيها ، ورفع عينيه ليرى رجلاً مقيت الملامح طويل الشعر يرتدى خوذة نحاسية ، يحمل مشنة

فاكهة أخرى ويضحك فى استمتاع بينما يركل الفاكهة على الأرض فيفسدها ، وأمامه رجل بسيط الملابس لا حول له ولا قوة ، وامرأة تشبهه ..

وتعرف (رامو) على ملامح الرجل والمرأة على الفور ..

إنهما (كاف) المزارع البسيط ، وزوجته (نون) اللذان كانا يسكنان بجوار منزل عائلته عندما كان طفلاً ، ولم يكن أبوه إلا موظفًا رقيق الحال ، وكانت أمه على قيد الحياة ..

تابعت عيناه فى مقت الرجل ذا الخوذة النحاسية وهو يبتعد ضاحكًا فى استمتاع ..

من يكون ؟! وكيف يجرؤ على أن ... ؟!

ارتدى (رامو) ملامح الغضب ، واقترب من الزوجين الرثى الحال ، اللذين كانا يلملمان بضاعتهما المبعثرة فى منظر يمزق نياط القلوب ، وانحنى يساعدهما فى صمت ، فتجمدت يدا الرجل وهو يحدق فيه ، قبل أن تنفرج أساريره وهو يهتف مغتبطًا :

ـ (رامو) ؟!

نظر إليه (رامو) دون أن يقوى على الابتسام ، فى حين هتفت (نون) بدورها :

ـ أجل ، أنت (رامو) .. متى عدت من النوبة يا فتى ؟!



تجاهل (رامو) سؤالها ، وسأل مشيرًا إلى الرجل ذى الخوذة النحاسية ؛ الذى لم يختف بعد وسط الجموع الغفيرة :

ـ من يكون هذا الذى اعتدى عليكما ؟!

ارتبك (كاف) ، وحاول أن يحافظ على سلامة ابتسامته إذ يقول :

ـ لا عليك .. إنه مجرد .. مجرد رجل فظ المعاملة ..

رفع (رامو) حبة من الفاكهة الفاسدة فى وجه (كاف) قائلاً :

ـ وتتركه يفسد رأس مالك هكذا ؟!

لم يجد (كاف) ما يقوله ، لكن احمرار وجهه الخجلان قال الكثير فى صمت ، وماتت حبة الفاكهة التى انضغطت بين أصابع (رامو) القوية وهو يقول :

ـ .. إن لم تكن قادرًا على مواجهته فدعنى أقم بذلك عنك ..

وكاد ينهض فى إثر الرجل الذى يحمل مشنة الفاكهة ، غير أن هتاف المرأة فى هلع أوقفه :

ـ كلا ، انتظر ..

نظر (رامو) إليها، ثم إلى زوجها الذى قال برأس منكّس :

ـ نحن لانريد إيقاع أنفسنا فى المشاكل !

سأله (رامو) فى غضب هادر :

ـ أى مشاكل تعنى ؟!

قالت (نون) وهى تعض شفتيها الجافتين :

ـ إنه أحد رجال (أور) !

التقت فوق وجهها نظرتا الرجلين ، (كاف) اللاتم و(رامو) المتسائل :

ـ من ؟!

أشارت (نون) إلى جهة ما ، تبعتها نظرة (رامو) :

ـ انظر هناك .. ها هو ذا ..

بين الزحام كان (أور) ظاهرًا فى جلاء ، ممتطيًا ظهر جواد مطهم ، ومرتديًا حلة مطرزة بقطع لامعة ، وخوذة من الذهب الخالص الذى يعشى الأبصار .. لحيته طويلة يخالط بياضها السواد ، وشعره ينسدل من أسفل الخوذة خشنًا غير نظيف .. عيناه غائرتان فى عظام الوجه البارزة ، وسمته يفضح بداوته وهمجيته ..



كان رَجُله يرفع نحوه مشنة الفاكهة ، فاتقى منها واحدة قضمها فى عنف ، عندما التقت عيناه من بعيد بعينى (رامو) ..

نظرتان كسهمين متبادلين التقيا فى منتصف المسافة ..

وفهم (رامو) بعض الحقيقة مما رأى ..

إن ملابس (أور) تقول إنه فارس من الغرب ، من صحراء (التمحو) ..

واحد ممن جلبهم أحد أبناء الملك (رمسيس) الذين حملوا جميعًا نفس اسمه ؛ لكى يحافظوا على أمن البلاد فى داخلها وخارجها ..

مرتزق بمعنى أصح ..

وهو أيضًا واحد ممن عظم نفوذهم وكبرت سلطتهم وزاد أتباعهم فى البلاد ، فتحولوا من أجراء إلى أنصاف أمراء ، وأضحى لهم نفوذ وكلمة مسموعة ..

لهذا يعيث رجاله فى السوق فسادًا ، ولهذا يتحاشى الناس إغضابهم بالإذعان لهم ولعبثهم حتى تمر العاصفة ، ولاضرار من بعض الانحناء !

ـ هكذا إذن !

غمغم بها (رامو) لنفسه فى غيظ، وكل عضلة فى جسده تهتز، وكل قطرة من دمه الحر تفور فى عروقه وتغلى ..

ـ أنت تبحث عن (بيبى) بالتأكيد ..

قالها (كاف) مغيرًا مجرى الحديث، وهو يعلم أنه سينجح فى جذب اهتمام (رامو) إلى منطقة أخرى ذات خطر أقل، فالتفت إليه (رامو) محاولاً كبت مشاعره السوداء، قائلاً:

ـ هل رأيته ؟!

ابتسمت (نون) وتولت عن زوجها الإجابة:

ـ نراه كل يوم تقريبًا ..

قطب (رامو) سائلاً فى استياء:

ـ أما زال يعصى أبى وينام خارج الدار ؟!

ازدرد (كاف) لعابه وهو يردد فى اضطراب عظيم:

ـ أبوك ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (رامو) وهو يقول مرتابًا:

ـ ماذا حدث ؟! هل جد بينهما شىء وأنا أقاتل فى النوبة ؟!



قبل أن يرد (كاف)، تعالى صوت طفل صغير يتساءل هاتفًا:

ـ أبى، ماذا حدث لفاكهتنا ؟! من أفسدها هكذا ؟!

حول (رامو) بصره إلى الطفل الواقف أمام الفاكهة المتناثرة على قارعة الطريق، تدهسها أقدام الرائح والجائى، ورأى فى ملامحه مزيجًا لطيفًا من ملامح (نون) و(كاف) الطيبة الوادعة ..

أمسكت (نون) بكتف الطفل هاتفة فيما يشبه التقريع:

ـ تعال يا (توت)، وساعدنى فى جمع ما بقى صالحًا منها ..

ـ ابنك ؟!

ند السؤال عن (رامو) الذى وجد نفسه يبتسم على الرغم منه، فأومأ (كاف) برأسه مجيبًا:

ـ أجل، ما زلت تذكره إذن !

ـ ذهبت وهو لم يتعلم الكلام بعد ..

ـ ما أسرع ما تمضى الأيام ..

قالها (كاف) بينما عينا (رامو) تتابعان الطفل المنهمك فى مساعدة والدته ..

ـ .. تعال معى ، وسأدلك على المكان الذى تعثر فيه على أخيك (بيبى) ..

لم يترك (كاف) فرصة قول أى شىء لـ (رامو) ؛ إذ سبقه بالسير بين جموع الواقفين ، فلم يجد الأخير مفرًا عن اتباعه ..

لم يتوقع (رامو) أبدًا أن تستقبله (طيبة) بهذه المشاعر العدائية ، ولا أن تثور فى أعماقه لدى دخولها كل هذه البراكين التى يجاهد لإخمادها ، لكنه حاول إقناع نفسه بأن كل شىء سيكون على ما يرام ، وأن الأفضل وإن كان لم يأت بعد ، فإنه فى الطريق حتمًا !

مضى خلف (كاف) حريصًا على ألا يفقد أثره ، حتى بلغا طرف السوق المشرف على النهر من بعيد ، حيث أقيمت منصة عالية من الخشب ، من حولها أعمدة علقت فيها ستائر ملونة ، تخفى ما يحدث بالداخل عن الجماهير التى تحيط بالمنصة فى ترقب متلهف ..

خفق قلب (رامو) وهو يفكر ، مازال (بيبى) متمردًا إذن حتى أذنيه ..



قاده (كاف) من يده إلى ما وراء المنصة ، حيث بضع درجات خشبية تصعد لأعلى ، يقف أمامها عدد من الرجال الغلاظ ..

ـ إلى أين أيها السيدان ؟!

قالها أحد الرجال ، فأجابه (كاف) فى حماسة :

ـ نريد أن نرى (بيبى) ..

سأل آخر :

ـ (بيبى) من ؟!

أجاب (كاف) بنفس الحماسة :

ـ (بيبى) الممثل .. الذى يؤدى دور (أوزوريس) فى هذا العرض ..

وتبعه (رامو) قائلاً فى ثقة :

ـ وأخى ..

نظر الرجال إلى (رامو) بقامته الممشوقة وعضلاته المفتولة وشارته العسكرية وهيئته التى تكللها المهابة ، وبالتأكيد دار التساؤل فى رءوسهم ؛ كيف يكون (بيبى) الصعلوك أخًا لهذا الشاب صاحب المكانة والهيبة ؟!

لكن الرجال أفسحوا طريقًا فى النهاية أمام (رامو) و(كاف) اللذين اعتليا الدرجات فى سرعة ، ودلفا عبر الستائر المسدلة

إلى المسرح الصغير المقام فى الخلاء أمام جمهور محدود من النظار ..

وفى الداخل ، كان هناك زحام من نوع آخر ..

ممثلون وممثلات يرتدون ثياب العرض ، ورجال هنا وهناك يلوحون ويصرخون لضبط قطعة من الأثاث أو حثًا على سرعة الإنجاز حتى يرفع الستار ..

مسح ( رامو ) المكان بعينه فى سرعة ، وفى النهاية وقعت عينه عليه ..

ـ ها هو ذا ( بيبى ) هناك !

هتف بها ( كاف ) مستخدمًا سبابته فى الإشارة ، بينما غابت عينا ( رامو ) فى تأمل أخيه الأصغر ، بعينيه الشاردتين ، وملامحه الدقيقة التى لا تشبه أحدًا فى الأسرة ، وبالإزار الأبيض الذى يلتفع به ليشع براءة ونقاء ..

كان يجلس على مائدة عليها صحاف طعام وكءوس شراب ، وحوله بعض الرجال المتشحين بالسواد ، وأمامه رجل يرتدى قناع كلب ، يصرخ فيه :

ـ ستهلك الآن يا ( أوزوريس ) ..

وفجأة انقض الجالسون حوله عليه ، فحملوه فى بساطة كأنه ريشة خفيفة ، وانفتحت المائدة التى كانوا جلوسًا إليها منذ



برهة ؛ لتظهر حقيقتها كتابوت ، وبعد أن وضعوا ( بيبى ) داخلها انغلق التابوت عليه ؛ لتندلع صرخة من أقصى المسرح ..

صرخة نسائية ملتاعة ..

صرخة أسكتت كل الهرج المدوى فوق الخشبة ، وجعلت الوجوه كلها تلتفت إلى تلك الشابة ذات الملامح العذبة ، من شعر بنى منسدل على ظهرها ، وعينين واسعتين كحيلتين ، وشفتين كزهرة الرمان ، والمتشحة فى ثوب أبيض متناسق مع أبعاد جسدها الفائر بالأنوثة ..

صرخة ندت عنها فى صدق مرعب ، وهى ترنو إلى التابوت ، فتجثو أمامه ذارفة دمعًا أجرى الدمع فى المآقى الناظرة ، ثم شق صوتها روح العذاب الساكنة :

ـ أواه يا ( أوزوريس ) ، يازوجى وحبيبى وشقيق روحى .. غدروا بك يوم أعطيتهم الأمان ، وطعنوا قلبى فى صميم الصميم .. أحقًا متّ يا ( أوزوريس ) ؟! أم أنها نومة يعقبها صحو جميل ؟! أحقًا ذهبت ولن تعود ؟! يأبى العقل وينشق القلب عن التصديق .. إن حبى لك إكسير حياة ، حب أقوى من الموت وأكبر ، لذا فأنا هنا بجوارك حتى يوقظك الحب من هذا السبات ، أو أهلك دونك أنا الأخرى .. ياسيد القلب ، ومهجة العمر الراحل والآتى ..

لم يـع الواقفـون بأنفسـهم إلا وهـم ينخرطون فى البكـاء والتصفيق ، حتى ( رامو ) الذى لم يبـك وجد نفسـه يصفق كأنما انتقلت إليه العدوى بالإيحاء الجماعى ..

ـ رائع ، أنتِ مبهرة حقًا يا ( تايا ) ..

هتف بها صوت جهورى أجش ، رفع صاحبه قناع الكلب عن وجهـه ليتبدى من خلفه غارقًا فى حمرة الاحتقان ، بلحية بيضاء من غير سوء ، بينما فتح الواقفون التابوت ، و( تايا ) تمسح العبرات عن عينيها الجميلتين قائلة :

ـ فسد الكحل !

صاح صاحب اللحية ، الذى ظهرت قامته قصيرة بصورة مبالغ فيها :

ـ لا يهم أيتها الممثلة القديرة ، أمامك وقت لإصلاحه قبل أن يبدأ العرض أمام الناس الواقفين بالخارج ..

اعتدل ( بيبى ) ـ النائم فى التابوت ـ جالسًا ليقول فى بسمة هادئة :

ـ لقد كدت أهلك داخل هذا التابوت ..

ابتسمت ( تايا ) قائلة :

ـ احرص على ألا يحدث هذا ، فلن نستطيع بعثك فى الحقيقة كما حدث مع ( أوزوريس ) ..



ابتسم وهو يدنو منها هامسًا :

ـ أخاف أن يهلكنى جمالك قبل أن يفعل التابوت ..

دفعته بيدها فى كتفه وهى تهتف به فى دلال :

ـ كف عن هذا ..

ـ انهض يا ( بيبى ) وكن جاهزًا لبدء العرض ..

أتاه الهتاف بالصوت الجهورى الأجش ، فالتفت ( بيبى ) نحو القصير صاحب اللحية هاتفًا بصوته الرقيق الناعم :

ـ أنا دائمًا جاهز يا ( بازى ) ..

والتقت النظرتان ..

ـ ( بيبى ) ..

قالها ( رامو ) وهو يقترب ..

ـ ( رامو ) ..

قالها ( بيبى ) وهو ينهض من داخل التابوت ..

والتقى الشقيقان فى عناق حار ..

★ ★ ★

## ٣

ـ مازلت مصرًا على التمرد حتى النهاية إذن يا (بيبى) ..

قالها (رامو) لأخيه بعد إذ انتحيا جانبًا من المسرح الجارى إعداده على قدم وساق، تمهيدًا لبدء العرض أمام الجماهير، فسأله (بيبى) ناظرًا إليه بعمق :

ـ أى نهاية تقصد يا (رامو) العزيز ؟!

قال (رامو) :

ـ لا بد أن أبى مازال غاضبًا عليك ..

ـ أبوك ؟!

ـ أجل، أنت تعلم مدى رفضه لفوضويتك هذه .. أن تترك المعبد والجيش والمدرسة من أجل أن تتصعلك فى شوارع (طيبة) مع الممثلين تارة، ومع المغنين تارة، ومع الراقصين والراقصات تارة أخرى .. إنه يعتبر هذا عارًا ليس بعده عار ..

صمت (بيبى) فى جمود ولم يرد بكلمة، مما دعا (رامو) لأن يردف :

ـ .. متى رأيته لآخر مرة يا (بيبى) ؟!



ـ أنت لم تعلم إذن ..

ـ لم أعلم بماذا ؟!

قالها (رامو) مقطبًا، ومستشعرًا وراء قول أخيه الكثير ..

ـ أبوك .. لقد ..

صمت ..

ـ ماذا حدث له يا (بيبى) ؟!

ـ مات !

صمت وجمود ذاهل ..

ـ مات ؟!

غمغم بها (رامو)، وقلبه يخفق فى قوة عجيبة ..

ـ أجل ..

قالها (بيبى) ثم أردف :

ـ .. حدث هذا منذ شهور، بعد سفرك إلى النوبة بفترة قصيرة ..

ـ ولماذا لم يخبرنى أحد حتى ... ؟!

قاطعه (بيبى) :

ـ أنا لم أعلم إلا بعدها بأسبوع كامل ، وبمحض الصدفة ..

ذاهلاً سأله (رامو) :

ـ وكيف هذا ؟!

وجم (بيبى) للحظة ، قبل أن يقول فى مرارة :

ـ (حريحور) ـ شقيقنا الأكبر وكاهن معبد (آمون) ـ لم يخبر أحدًا ، ودفنه فى سرية تامة كما أوصى هو بنفسه ..

مستنكرًا سأله (رامو) :

ـ سرية عنا نحن أبناءه ؟!

ـ عنى أنا بالتحديد ، فَسَيْرى فى موكب دفنه عار عليه كما قلت أنت ..

ـ وأنا ؟!

ـ أعتقد أنه رأى ألا يشغلك عن مهامك الجسيمة فى الجيش بأمر تافه كموته ..

حدق (رامو) فى عينى أخيه كأنما يحاول فهم ما يقول ، لكن أكثر ما أثار دهشته هو شعوره بالحزن الهين ـ لا الفجيعة الكبرى ـ فى فقدان الأب ، ربما لفرط ما ابتعد عنه ..

ربما !



ـ أعتقد أنه قد آن الأوان لخلع هذه ، عزيزى (رامو) ..

قالها (بيبى) وقد مد يده لتقبض على قلادة الخرز المنتهية بسن العاج المدبب على صدر شقيقه ، وانتبه (رامو) ـ عندها فقط ـ إلى أن (بيبى) قد خلع القلادة الخاصة به ..

قال (رامو) :

ـ أراك قد خلعت قلادتك ..

لاح شبح بسمة على سحنة (بيبى) إذ قال :

ـ قبل وفاته بأيام قليلة ..

ـ ربما عجل هذا بوفاته ..

ـ لا أظنه عرف بالأمر بعد أن طردنى من الدار لآخر مرة ..

قال (رامو) وهو يجاهد إعصارًا فى عقله وقلبه :

ـ لقد عذبته كثيرًا فى حياته يا (بيبى) ..

قال (بيبى) مدافعًا فى عبوس :

ـ ليس إلا لأنى كنت أبغى أن أكون أنا ، أنا الذى أريده لا الذى يريده لى هو أن أكونه ، كما حدث مع (حريحور) ومعك !

حدجه ( رامو ) بنظرة نارية لكن ( بيبى ) تابع ، كأنما يضع عن كتفيه أحمالاً ثقيلة :

ـ .. منذ الصغر وهو يرسم لنا مصائرنا ويخطط لنا المستقبل بدقة وعناية ، ( حريحور ) يتعلم فى المعبد حتى يصبح كاهنًا ، أنت تدخل الجيش حتى تصبح قائدًا ، أنا أذهب إلى المدرسة حتى أصبح كاتبًا يجلس القرفصاء فى الديوان الملكى من بعده ، ولتذهب رغباتنا إلى جحيم العدم ، فما نحن إلا صورة تجرى أمام عينيه ، مخطط عليه تنفيذه حتى يتم رسالته فى الحياة على الوجه الأكمل ..

لاحت نظرة ( رامو ) بعد أن أصابت كلمات ( بيبى ) كبد الحقيقة بسهام سامة ، لكن الأخير ظل يطارده بنظراته الحادة وكلماته الأحد :

ـ .. ( حريحور ) طموح مثله ، لذا فقد استغل كل قدراته حتى أصبح كاهنًا عظيمًا يشار له بالبنان ، أنت يا ( رامو ) مقاتل بارع لذا فقد ناسبك الجيش ، أما أنا فلم تناسبنى أبدًا حياة النظام والكتابة والتدوين .. إن فى داخلى ينابيع أخرى تريد أن تتفجر لا أملك أمامها إلا السمع والطاعة .. إننى لا أستطيع أن أكون إلا أنا مهما حاولت ألا أكون !



غمغم ( رامو ) فى شىء من الانكسار :

ـ لكن هذا أغضبه منك حتى الموت ..

هتف ( بيبى ) بصوته الرقيق الناعم :

ـ إنه لم يفهمنى أبدًا ، ولم يعنَ على طريق الفن .. حتى الرسم والنحت كان رافضًا لهما وعدهما من وظائف الدرجة الثانية .. لكنى لم أملك أمام نفسى إلا الانصياع ، فكنت أهرب من وراء ظهره لأمثّل وأغنى وأرقص مع هذه الفرق كما قلت ..

حاول ( رامو ) تغيير الموضوع الكئيب :

ـ و( حريحور ) ؟! ألا تراه هو الآخر ؟!

قال ( بيبى ) فى تهكم مرير :

ـ إنه حريص على رغبات أبى أكثر من أبى نفسه ، وهو يفضل أن يرى الموت ماثلاً أمامه ولا يرانى !

سأله ( رامو ) :

ـ ألم تفكر فى الذهاب إليه فى المعبد ولو مرة واحدة ؟!

أجاب ( بيبى ) :

ـ لا أذهب إلى المعبد فى المعتاد ؛ إذ لا آبه كثيرًا بآلهته الحجرية التى يقدسها ويقنع العامة بتقديسها بالترهيب أو الترغيب ..

نظرة نارية أخرى من (رامو) لم تثنِ (بيبى) عن أن يتابع :

ـ .. إنها مسألة بديهية يا (رامو) العزيز ، كيف تصنع شيئًا ثم تقدسه ؟! هذا شىء لا يدخل عقلاً مثل عقلى اعتاد ألا يأخذ الأمور على علاتها .. إن أبى كان يشبه هذه الآلهة المزعومة ، فهو لم يمنح أيًا منا فرصة للاختيار ، وأنا أومن فى قرارة قلبى بإله آخر واحد ووحيد أعطى لمخلوقاته الحرية ، لكنهم لم يعرفوا كيف يصونونها !

غمغم (رامو) فى تفكير عميق :

ـ غريب حقًا ما تقول !

عاد (بيبى) يمسك بالقلادة المتدلية فوق صدر (رامو) ، قائلاً :

ـ لقد اعتبرنا أيضًا من أملاكه الخاصة يتصرف فيها كيفما شاء ، وليس من دليل أبلغ على ذلك من هذه القلادة التى أجبرنا نحن الثلاثة على ارتدائها منذ كنا أطفالاً .. ثلاث



نسخ متطابقة ، كأنه يريد تمييزنا بها عن بقية أطفال (طيبة) ، أو كأنه يريد الإعلان للناس : هؤلاء هم أبنائى فلا يمسسهم أحد منكم !

سأله (رامو) وهو يقدم كلمة ويؤخر أخرى :

ـ تخلصتَ منها إذن ..

ابتسم (بيبى) قائلاً :

ـ أجل .. تخلصتُ منها وألقيتها فى مياه النهر .. ومنذ لحظتها والحرية طائر يرفرف بى حيث شئت من البلاد ..

نظر إليه (رامو) مليًا ، فبادله (بيبى) النظرات فى جرأة وهو يقول :

ـ .. أنصحك أنت الآخر بالتخلص منها سريعًا ، فلا شىء يساوى حرية المرء فى هذا العالم ..

أبعد (رامو) يد شقيقه عن القلادة ، وقال بدوره :

ـ ستأتى معى الليلة إليه ..

تساءل (بيبى) مقطبًا :

ـ إلى من ؟!

(حريحور) ..

ـ فى المعبد ؟!

ـ أجل .. فى المعبد ..

لكن ...

ـ هذا كلام نهائى .. اعتبره أمرًا يوجهه لك أخوك الأكبر ..

ران الصمت بينهما ، حتى تبدد مع الهتاف الأنثوى المتصاعد على مقربة :

ـ (بيبى) .. إن (بازى) يأمرك بالاستعداد ..

ظهرت إلى جوارهما من خلف ستار قماشى ، وجفلت للحظة عندما شاهدت (رامو) الجالس إلى جوار شقيقه ..

ـ سأحضر على الفور يا (تايا) العزيزة ..

قالها (بيبى) باسمًا فى سرور ، قبل أن يشير إلى (رامو) معرفًا :

ـ هذا (رامو) ، أخى ..

هزت (تايا) رأسها تحييه فى رقة ، قبل أن تلتفت إلى (بيبى) قائلة :

ـ لم تخبرنى أن لك أخًا يعمل قائدًا فى جيش الفرعون ..



هزَّ (بيبى) كتفيه هاتفًا بها فى مرح :

ـ أنتِ لم تخبرينى بأى شىء عنك !

قالت فى سرعة :

ـ ليكن ، حاول الحضور بسرعة قبل أن يغضب (بازى) ، وأنت تعرفه عندما يغضب ..

ثم اختفت عن أنظارهما بسرعة يشيعها قول (بيبى) المداعب :

ـ نعم ، أخشى أن يزداد قصرًا !

ـ ممثلة بارعة ..

قالها (رامو) فى إعجاب ، فهزَّ (بيبى) رأسه فى تأمين ، قبل أن يقول :

ـ نعم ، وفتاة رائعة فوق كل هذا ..

سأله (رامو) مستغربًا :

ـ أحقًا لا تعرف عنها شيئًا ؟!

هزَّ (بيبى) رأسه مرة أخرى فى إيجاب ، وقال :

ـ فتاة غريبة ، تظهر فجأة لتعمل معنا ممثلة أو مغنية ،

وتختفى فجأة فلانعرف أين يمكن أن نعثر عليها ، وفوق كل هذا هى شديدة الكتمان لاتتحدث عن نفسها أمام كل من يحاول التقرب إليها ..

بلهجة ذات مغزى سأله ( رامو ) :

ـ وأنت ممن يحاولون التقرب إليها ؟!

أجابه ( بيبى ) باسمًا :

ـ بلافائدة ، إنها حجر أصم أمام أى محاولة للتودد حتى الصريح منها ..

ـ غريب أمرها بالفعل ..

نهض ( بيبى ) قائلاً :

ـ ستبقى حتى ترى العرض كاملاً ، أعلم أنك تعشق حكاية ( أوزوريس ) و( إيزيس ) ..

نهض ( رامو ) بدوره قائلاً :

ـ كنت أتمنى هذا ، لكن إجازتى قصيرة للغاية ، والمهام كثيرة كما تعلم ..

غمزه ( بيبى ) قائلاً :

ـ أعلم ، إنه موعد الأميرة إذن ..



ابتسم ( رامو ) أخيرًا ، وقال كأنه يفكر بصوت عال أمام نفسه :

ـ لم يكن هناك متسع من الوقت لإعلامها بمجيئى ، لكنى أعلم أين سأجدها ..

وقبل أن يمضى أشار ( رامو ) لـ ( بيبى ) مذكرًا :

ـ سأمر عليك بعد الغروب حتى نذهب لزيارة ( حريحور ) ، وإياك والتملص !

★ ★ ★

انكسرت أشعة الغروب على أمواج النهر الرقيقة ، وتلون الأفق الغربى بألوان الأحلام البنفسجية ، وبهمس الليل البرتقالى ..

الأميرة ( نفرت ) عينان فى لون زهور اللوتس ، وشعر يكسو الظهر يكلله من الأمام تاج الأفعى الباسمة ، وثوب رقيق لا يشى بأريحية العيش ولا برفاهة القصور ..

الأميرة ( نفرت ) ، كفان متعانقان فى مواجهة الشمس الراحلة ، وتمتمات تترنم بها شفتان كثمرتى توت برى ، ورياح تداعب الوجنتين والشعر وأطراف الثوب ..

الأميرة ( نفرت ) ، ذكريات واشتياق وحنين ..

و...

ـ كنت أعلم أننى سأجدك هنا ..

التفتت الأميرة فى غير تصديق ، تنظر إلى ( رامو ) الواقف خلفها فى ابتسامة ، وتشهق فى ذهول برىء ..

ـ ( رامو ) ؟!

بقفزة واحدة أصبح ( رامو ) يقف فى مواجهتها ، ممسكًا بكفيها الرقيقتين حتى يمنعها من السقوط عروسًا للنيل ..

ـ أجل يا حبيبتى .. أنا ( رامو ) ..

عناق بالعينين وبالأصابع ، والدنيا من حولها تدور وتندمج فى أشكال لا معنى لها ..

ـ متى أتيت ؟!

ـ أتيت اليوم ، وراحل فى صباح الغد ..

ـ لماذا لم تخبرنى ؟!

ـ كان الأمر مفاجئًا ..

صمت ، ثم قال ( رامو ) متأملاً حسنها الشفاف :

ـ .. أوحشتنى ..

ـ وأنا أيضًا ..

ضمها ( رامو ) إلى صدره فى حنان ، بينما هى تقول :

ـ .. منذ سافرت فى حملتك الأخيرة وأنا آتى إلى هنا كل يوم كما وعدتك ..



ابتسم متذكرًا :

ـ مكان لقائنا الأخير ..

تنهدت ( نفرت ) وقالت :

ـ لن يكون بيننا لقاء أخير أبدًا ..

تنهد معها وقال :

ـ أبدًا يا حبيبتى ..

وجمعتهما جلسة العاشقين على ضفة النهر الذى يبلل منهما الأقدام ..

ـ كيف سارت أمورك طوال فترة غيابى ؟!

سألها ( رامو ) مشفقًا ، وهو يداعب خصلات شعرها الطائرة ، فأجابت ماطة شفتيها :

ـ لا جديد ، أهتم بأمور أمى العجوز وأخى الذى وجد نفسه ملكًا على أبواب السادسة عشرة من العمر ، الحادى عشر فى تسلسل الرعامسة الكرام ..

قال ( رامو ) :

ـ أحمال ثقيلة ..

قالت ( نفرت ) :

ـ إنه قدره .. وقدرى ..

تبسم قائلاً فى محاولة لإبعادها عن همومها :

ـ لا تخشى شيئًا ما دمت بجوارك .. ستنتهى الحرب فى الجنوب حتمًا ، وسنعود منها منتصرين فى القريب العاجل ، عندها لن يمنعنا شىء من الزواج يا محبوبتى الغالية ..

غمغمت ( نفرت ) فى وجل :

ـ مرت شهور طويلة والأمور تسير من سيئ لأسوأ ..

قال ( رامو ) فى ثقة :

ـ كل شىء سينتهى .. إن كل شىء ينتهى يا حبيبتى ..

ألقت برأسها على كتفه قائلة :

ـ أتمنى أن ينتهى كل شىء كما نحلم يا حبيبى ..

ـ سيحدث ..

قالها ثم أخرج شيئًا ما من جيبه ..

ـ .. الآن أعطنى عنقك !

نظرت إليه فى تساؤل ، ورأته ممسكًا بقلادة يتدلى منها جعران ذهبى منقوش بدقة ، وباهر الجمال ..

أشرق وجهها باتعكاس وهج الذهب عليه ، وتساءلت فى سرور لا حد له :

ـ ما هذا ؟!



قال وقد أسعدته سعادتها إلى أقصى حد :

ـ جعران من النوبة ، رأيته يناسب صدر محبوبتى ..

وقلدها إياه ، فعبثت به أصابعها قليلاً قبل أن تغمغم فى طفولة :

ـ جميل جدًا ..

قال ( رامو ) وهو يتأمله ويتأملها :

ـ بل أنت الجميلة ..

ألقت بنفسها بين ذراعيه هامسة :

ـ أحبك ..

واحتواها :

ـ أحبك ..

وذاب المدى فى الغروب والعشق والأمنيات ..

★ ★ ★

# ٤

أضواء المشاعل عاجزة عن تبديد ظلام الليل فوق المعبد الكبير ..

سار (بيبى) والخوف فى أوصاله يسرى خلف (رامو)، فى الطريق الذى تتراص على جانبيه الكباش نحو بوابة المعبد، حتى إنه غمغم بفرائص ترتعد :

ـ لكم أمقت القدوم إلى هذا المكان ..

ـ صه ..

أسكته بها (رامو)، حتى بلغا نهاية الطريق حيث يقف حارسان من حرس المعبد ..

ـ إلى أين أيها الغريبان ؟!

هتف بها أحدهما فى نبرة جهورية يفوح منها العداء، مشهرًا رمحه فى وجهى القادمين، فكاد (بيبى) يسقط منهارًا من فرط الرعب، بينما تماسك (رامو) قائلاً فى رباطة جأش :

ـ لسنا بغريبين، إننا هنا لرؤية الكاهن (حريحور) ..



ارتفع أحد حاجبى الرجل، وهو يسأل مستيقنًا :

ـ الكاهن (حريحور) شخصيًا ؟!

ـ أجل، هو شخصيًا ..

قالها (رامو) فى تؤدة، فسأله الحارس الآخر :

ـ هل أرسل هو فى استدعائكما ؟!

ـ بل هى زيارة مفاجئة ..

مستنكرًا هتف الذى يشهر رمحه :

ـ مفاجئة ؟!

هزّ (رامو) رأسه أن نعم، ثم قال مشيرًا إلى صدره وإلى (بيبى) المختبئ خلفه على التوالى :

ـ أنا (رامو حتب) القائد فى جيش الفرعون، وهذا (بيبى حتب)، نحن أخواه لو لم تع هذا وحدك يا صاح ..

نظر إليهما الحارسان كأنهما يريدان إقناع نفسيهما بهذا الأمر، ثم إنهما تفاهما بالنظرات فى النهاية ..

ـ ليكن ..

قال الذى يشهر رمحه ، وأردف ملوحًا بوجهه :

ـ .. ستتقدمانى إلى الداخل ، وتنتظرانـى ريثمـا أبلـغ الكـاهن بهذا الأمر ..

ـ لاتوجد مشكلة ..

قالها ( رامو ) فى بساطة ، قبل أن يتقدم الحـارس عبر بوابة المعبد ، ومن خلفه ( بيبى ) الذى يرتعد فرقًا من هول ما يرى ..

سار الشقيقان عبر ساحات المعبد المظلمة ، لاينيرها إلاوهج المشـاعل المتراقص على الجـدران والوجوه الجامدة ، ومـن خلفهما رمح الحـارس المشـهر ، ومـن بعيد يتصـاعد نبـاح كلب مزعج فى إلحاح ..

بين الحين والآخر كان يمر مـن أمامهمـا كـاهن ضئيل أصلـع الرأس كحيل العين ، أو حارس يشهر رمحًا آخر ، أو..

ـ انظر يا ( رامو ) ..

هتف بها ( بيبى ) مشيرًا إلى نقطةٍ مـا خلف عمود حجرى ضخم ، نظر نحوها ( رامو ) ليرى ظلاً شبحيًا متشحًا بالسواد ، لايظهر منه إلا النزر اليسير على أضواء المشاعل ، فضيـق عينيه أكثر ، وهاله أن يلمح ..



ـ .. إنها ( تايا ) !

عاد ( بيبى ) يهتف ، وهما يسيران أمـام الحـارس المتأفف ، فأومأ ( رامو ) برأسه إيجابًا وهو يغمغم مندهشًا :

ـ إنها هى بالفعل يا ( بيبى ) ..

لم تنتبه ( تايا ) إليهما ، إذ كانت منهمكـة فـى كنس أحد أركان الساحة الواسعة ، عندما سمعت من يهتف باسمها ..

ـ ( تايا ) .. ( تايا ) ..

الصوت تعرفه جيدًا ، ولكن ..

هنا ؟!

رفعت ناظريهـا ورأتهمـا يسيران علـى مسـافة يسـيرة منها ، وعلى الفور سارعت بالعدو والاختفاء ، كأنها لم تكن هناك أبدًا ..

كاد ( بيبى ) يندفع مهرولاً بحثًا عنها ، لكن هتاف الحارس من خلفه منعه :

ـ إلى أين أيها السيد ؟!

تراجع ( بيبى ) عن الفـكرة ، وقاوم إلحاح اللحاق بها ،

ليسير إلى جوار (رامو) الذى سأله إذ عبرا إلى قاعة أخرى :

ـ ماذا تفعل الفتاة ها هنا ؟!

هزَّ (بيبى) كتفيه وقال فى توتر بالغ :

ـ لا أعلم ، هذا ما كنت أريد معرفته بنفسى ..

أتاهما الجواب من الحارس السائر خلفهما :

ـ إنها إحدى خادمات المعبد ، لو كنتما تتحدثان عن (تايا) !

مذهولاً ردد (بيبى) من ورائه :

ـ خادمة معبد ؟!

قال الحارس :

ـ مشاكسة وعنيدة ، وتهرب كثيرًا دون أن يدرى أحد أين تذهب !

تبادل (رامو) و(بيبى) نظرتين ، قبل أن يوقفهما الحارس بقوله :

ـ .. انتظرانى ها هنا لهنيهة ، وإياكما أن تبتعدا .. إن للمعبد حرمته التى لا تتهاون فى شأن من يتهاون بها .. هل تفهمان ؟!



أومآ برأسيهما أن نعم ، فاختفى الحارس فى ممر جانبى ، تاركًا إياهما نهبًا للظلام والأفكار ونباح الكلب المزعج الذى ازداد قربًا ..

ثم توقف بغتة !

★ ★ ★

الرأسان حليقان ، والعينان كحيلتان تشبهان عينا (أوزوريس) ، لكن الشباب يرتع فى ملامح الأول الواقف فى أدب بنصف انحناءة ـ مما جعل القلادة المنتهية بسن عاجى مدبب تتدلَّى فى الهواء لأسفل ، أمام الثانى الذى تلتهم التجاعيد وجهه ..

ـ هذا غريب حقًّا أيها الكاهن الأكبر (إمنحتب) ..

قالها الشاب الواقف فى تأدب للكاهن (إمنحتب) الجالس على مقعد خشبى مزركش ، يطعم كلبًا ضالاً قذرًا من طبق لحم طازج بجواره ..

ابتسم (إمنحتب) سائلاً :

ـ أى غرابة تقصد يا عزيزى (حريحور) ؟!

قال (حريحور) وهو يتابع ما يجرى بعينين غارقتين فى الحيرة :

ـ إن الكلب يدنس طهر المعبد ، وقد أزعجنا لليلتين كاملتين بنباحه دون أن نجده ، وفوق كل هذا هو رمز للشياطين ولإله الشر ( ست ) ، تصورت أننا عندما نمسك به فسوف نقتله على الفور ، أو على الأقل نطرده من حرم المعبد ، لا أن نطعمه لحمًا من القرابين المقدمة للإله ( آمون ) شخصيًا !

اتسعت بسمة ( إمنحتب ) وهو يقول :

ـ أحيانًا يكون الثواب عقابًا يا عزيزى ، لا تأخذ الأمور على ظواهرها أبدًا ..

انعقد حاجبا ( حريحور ) المرسومان بالكحل وهو يقول :

ـ لست أفهم ..

ـ ستفهم ، ولكن فى الوقت المناسب ..

وأردف الكاهن الأكبر ، ملقيًا بالمزيد من اللحم إلى أنياب الكلب الجائع :

ـ .. أنت أنجب تلاميذى من الكهنة يا ( حريحور ) ، وستجلس على مقعدى هذا فى يوم من الأيام .. أعلم هذا ولا أعمل على تجنبه ، لكنى أسقيك نتاج خبرتى ببطء حتى يشتد ساعدك ، وتصبح أهلاً لهذه المهمة الجليلة .. بعد عمر طويل ..



لمعت عينا ( حريحور ) وهو يغمغم فى لهفة مكبوتة :

ـ أجل ، بعد عمر طويل ..

هنا تعالى صوت يهتف عبر المدخل الذى يعزله ستار قماشى عن الخارج :

ـ عذرًا يا سيدى الكاهن ولكن ...

رفع ( إمنحتب ) صوته بالسؤال والمقاطعة :

ـ ماذا هناك أيها الحارس ؟!

صوت الحارس يكسوه بعض الحرج :

ـ كنت أبحث عن الكاهن ( حريحور ) ، فلديه ضيفان ..

نظر ( إمنحتب ) إلى ( حريحور ) باسمًا وهو يقول :

ـ إنه فى حضرتى ها هنا بالفعل ..

وزوى ( حريحور ) حاجبيه مغمغمًا :

ـ ضيفان ؟!

وكأن الحارس سمعه ، فهتف :

ـ إنهما يقولان أنهما شقيقاه !

احمرت عينا (حريحور) فى غضب مكتوم، بينما اتسعت بسمة (إمنحتب) الذى قال مخاطبًا إياه :

ـ اذهب إليهما يا (حريحور) ..

ـ سأفعل أيها الكاهن الأكبر ..

ـ وعندما تعود ..

نظر (إمنحتب) إلى الكلب وهو يلقى إليه بقطعة لحم أخرى، مردفًا :

ـ .. ستجد أن كلبنا العزيز قد نال ثوابه كاملاً ..

★ ★ ★

ـ لماذا جئتما ؟!

قالها (حريحور) فى جفاء وهو يتحاشى النظر إلى شقيقيه، فتبادلا نظرة طويلة قبل أن يدنو (رامو) من كتفه قائلاً :

ـ إننى فى إجازة تنتهى غدًا، ولم يكن من اللياقة أن آتى إلى (طيبة) دون أن أراك يا أخى الأكبر .. فهل أخطأت ؟!

سأله (حريحور) دون أن يتلفت إليه :

ـ ولماذا لم تأتِ وحدك ؟!



فهم (بيبى) ما يرمى إليه، فاندفع هاتفًا على الفور :

ـ لم أكن لآتى لولا إلحاح (رامو) ..

التفت إليه (حريحور) هاتفًا كالطوفان :

ـ اخرس أيها المأفون، إياك أن ترفع صوتك فى هذا المكان المقدس ..

صمت (بيبى) صاغرًا حتى لا يثير المزيد من العواصف الغاضبة، وربت (رامو) على كتف أخيه الأكبر محاولاً تهدئته، وقال :

ـ لقد أتينا لنعرف مكان قبر أبينا يا (حريحور)، وأظن أن لنا فى ذلك بعض الحق ..

هتف (حريحور) وهو ينزل يده من فوق كتفه :

ـ لا حق لكما فى أى شىء، وإن كان لك أنت بعض الحق فليس لهذا الوغد الصغير أى قدر ولو ضئيل منه .. هل تفهم هذا ؟!

سأله (رامو) فى جمود :

ـ لن تخبرنا إذن بمكان دفن أبينا ؟!

قال (حريحور) لاهثًا :

ـ لقد أوصانى بألا أفعل ..

قال (رامو) :

ـ أبى لا يفعل ذلك ..

قال (حريحور) فى إصرار :

ـ بل فعل ، وما على إلا تنفيذ وصيته ..

صمت ، ثم قال (رامو) :

ـ إنك تغلق بيننا كل الأبواب يا (حريحور) ..

صمت ، ثم قال (حريحور) :

ـ لقد فهمتها أخيرًا يا بن أبى .. أنا بالفعل أريد قطع كل ما بيننا من وشائج لن أنال منها إلا الهم ، وإلا التأخر فى الصعود وتحقيق الهدف الذى رسمه لى أبى .. لننس بالفعل أننا إخوة وليعش كل منا حياته التى يحبها ..

سأل (رامو) وهو يتأمل أخاه الأكبر فى نفور :

ـ أهذا ما لديك يا (حريحور) ؟!

أعطاه الكاهن ظهره قائلاً :



ـ هذا كل ما لدى .. لا تفكرا فى زيارتى مرة أخرى لأن هذا قد يجلب عارًا لا أحتمله ، ولتصل للإله حتى يغفر لأخيك خطاياه التى لا تغتفر ..

نظر (رامو) إلى (بيبى) المنكمش على نفسه كهرٍّ جريح ، ثم التفت ليطالعه ظهر أخيه الأكبر ، فخاطبه قائلاً :

ـ ليكن يا (حريحور) .. صحيح أننى لم أتصور أبدًا أن تستقبلنى بهذا الشكل ، أنا العائد بعد غياب طويل ، لكن .. لك ما تريد يا أخ .. أعنى ، أيها الكاهن ..

وأشار لـ (بيبى) أن يتبعه ، فانطلقا فى طريق الخروج من المعبد ..

انفرد (حريحور) بنفسه ، فاقترب من المسبح الدائرى ، وطالع انعكاس صورته فوق صفحة المياه الراكدة ..

إنه يعشق هذا الوجه ، ولا يخجل من مصارحة نفسه بهذا أبدًا !

إن هذا الاعتراف هو الدرجة الأولى فى السلم الصاعد نحو قمة المجد والسؤدد ..

القمة التى سوف يعتليها إن عاجلاً أو آجلاً ..

بل عاجلاً فقط ، وليس آجلاً ..

عاد (حريحور) إلى غرفة الكاهن الأكبر (إمنحتب)، فوجد الكلب جثة هامدة بلاحياة أو نباح، وطالعته ابتسامة الكاهن الأكبر الغامضة :

ـ لقد نال ثوابه والعقاب ..

سأل (حريحور) فى ذهول :

ـ وكيف هذا ؟!

حثا (إمنحتب) بجوار جثة الكلب، وأشار لتلميذه أن :

ـ اقترب !

اقترب (حريحور) وجثا بدوره، ليشاهد يد الكاهن الأكبر وهو يفتح فم الكلب الميت فتظهر أنيابه البيضاء مرتكزة على قاعدة حمراء ..

ـ .. انظر ..

نظر (حريحور)، وكان الكاهن الأكبر يشير إلى لثة الكلب العلوية ..

ـ .. هل ترى هذا الخط الأزرق ؟!

بالفعل، هناك خط أزرق واضح بين احمرار اللثة، لكن ..



ـ .. إنه دلالة التسمم، لقد جعلتُ الكلب يأكل لحمًا مسمومًا يا عزيزى (حريحور) ..

رفع (حريحور) إلى كاهنه الأكبر عينين وتساؤلاً :

ـ ولماذا لم تقتله بصورة أكثر صراحة أيها الكاهن الأكبر ؟!

كشفت بسمة (إمنحتب) الواسعة عن صفى أسنانه وهو يقول :

ـ حتى لايزعجنا بالمزيد من نباحه وهو يموت يا عزيزى ..

صدمت الفكرة (حريحور)، لكنها هيجت نقطة كامنة فى ثنايا عقله ..

وفى اللحظة التى دلفت فيها الخادمة (تايا) إلى صومعة (إمنحتب)، سائلة على استحياء :

ـ أرسلت فى طلبى يا سيدى الكاهن (إمنحتب) ؟!

لمح (إمنحتب) فى نظرة (حريحور) إليها شيئًا غريبًا، واضحًا وضوح (رع) ..

شىء اسمه الرغبة ..

★ ★ ★

على تبة فى غرب (طيبة) ، وحول أحطاب مشتعلة تدور فوقها شاة مسلوخة فى طريقها للنضج ، جلس (رامو) و(بيبى) فى حضرة شيخ ؛ يجدل ما بقى من شعر رأسه فى ضفيرتين جانبيتين ، ويرتدى ثوبًا بسيطًا من الكتان الأبيض ..

شيخ يحمل فى ملامحه بعضًا من ملامحهما ..

نظر (رامو) إلى المنزل الصغير القائم على التبة قائلاً :

ـ أما زلت مصرًا على الانعزال بنفسك ها هنا يا عمى (وست) ؟!

قال (وست) فى حزن :

ـ هذا أفضل من أن أرى بعينى (طيبة) وهى تحتضر يا بن أخى ..

قال (بيبى) ضاحكًا :

ـ لا تكن متشائمًا يا عماه ..

زفر (وست) فى حرارة ، وقال :

ـ إن لم أكن متشائمًا حين أرى ملكًا ضعيفًا بلاحول ولاقوة ، وحاشية لا يفقهون من أمر الحكم شيئًا إلا مصالحهم الشخصية ، وقوى أجنبية تستشرى قوتها كالطاعون داخل البلاد ، وشعب مذعن غير مبالٍ كأن ما يجرى يحدث لشعب آخر غيره ، إن لم أكن متشائمًا حين أرى هذا كله فمتى أكون متشائمًا إذن ؟!



غمغم (رامو) شاردًا فى المجهول للحيظات :

ـ ربما كنت محقًا بعض الشىء ..

انطلق (وست) يستطرد :

ـ لقد أفنيت عمرى فى طلب العلم ، رحلت هنا وهناك ورأيت من البلاد أعجبها وأغربها ، صادقت الأمراء والفقراء ، أبناء القصور وأبناء السبيل .. فى منزلى هذا آلاف البرديات التى دونت فيها خبرتى ، وأحلامى بمستقبل هذه البلاد .. رسمت تخيلاً لـ (طيبة) يرفعها إلى ذروة لم يبلغها أحد على مر التاريخ .. لكن كل هذا يتبخر على الرغم منى ، كل شىء يتلاشى وأنا عاجز حتى عن الدعوة إلى التغيير ..

سأله (بيبى) فى تعجب :

ـ ولم هذا العجز ؟!

أجابه (وست) :

ـ لأننى لو تحدثت لدخلت إلى السجن ، أو لربما نفيت إلى الأبد .. سيفهمون حديثى على نحو خاطئ كالمعتاد ، وسيظنوننى خطرًا على الأمن والنظام ، وسأتحول أنا إلى عدو الشعب رقم واحد ، كأن البلاد لا تعانى من تهديدًا سواى ..

ازداد تعجب ( بيبى ) :

ـ إلى هذا الحد ؟!

ـ وأكثر ، إنه الفساد حينما يتمكن من المكان .. ويستوطن قلب الوطن كالداء العضال ..

هتف ( رامو ) فجأة :

ـ والحل ؟!

ـ الحرية ..

صمت إلا من طقطقة الأخشاب أسفل الشاة التى لم تنضج بعد ..

ـ متى سترحل يا ( رامو ) ؟!

أجاب ( رامو ) عمه :

ـ عندما ينبلج الفجر ..

وتابع فى وجل :

ـ .. لكنى سأعود هذه المرة ، بقلب غير مطمئن بالمرة !

★ ★ ★

## ٥

النوبة من جديد ..

على جواده وبملابسه العسكرية وبأسلحته كاملة يتقدم ( رامو ) جنود فصيلته ، وبجواره على جواد آخر صديقه ( نفر ) ..

ـ منذ عدت وحالك لا يسر يا ( رامو ) ..

قالها ( نفر ) فى صراحة ، فزفر ( رامو ) فى همّ ، قبل أن يقول :

ـ لم أجد فى ( طيبة ) ما يسر ..

ـ ما معنى هذا ؟!

سأله ( نفر ) ، لكن ( رامو ) لم يجب ..

وإذ برزت الجيوش العاصية أمامهم على مرمى البصر ، التحم الجيشان ..

وبدأ القتال ؛ لتموت فى خضمه كل الأسئلة ..

★ ★ ★

ـ أنت تتعلم بسرعة يا (حريحور) ..

قالها (إمنحتب) بعد أن قذف فى فمه حبة العنب ، وأخذ يلوكها فى تلذذ ، فانحنى الكاهن الشاب أمام معلمه قائلاً :

ـ الفضل لعبقرية معلمى أيها الكاهن الأكبر ..

مد (إمنحتب) يده إلى طبق من أطباق القرابين ، وهو يقول :

ـ بل أنت الذكى يا (حريحور) ، أضف إلى هذا طموحك المستعر المتلهف للصعود ..

ابتسم (حريحور) فى مكر وقال :

ـ صدقت فى هذه يا معلمى ..

وضع (إمنحتب) فى فمه المزيد من حبات العنب ، وهو يقول :

ـ أنصحك بالتريث قليلاً ، فالمندفع بلا كوابح يقع من فرط السرعة ..

ازدادت بسمة (حريحور) مكرًا وهو يقول :

ـ لا وقت للتريث أبدًا أيها المعلم ..



لاك (إمنحتب) ما فى فمه وهو يقول :

ـ صحيح أننى أصدرت قرارًا بأن تصبح مساعدى الأول ، تمهيدًا لأن تجلس فى مكانى عندما أذهب إلى عالم (أوزوريس) ، لكن مازال أمامك الكثير يا فتى ..

المكر يتحول إلى تآمر :

ـ حقًا يا .. معلمى ؟!

فجأة جحظت عينا (إمنحتب) ..

فجأة سقط طبق القرابين الذى يحوى العنب من على المائدة المجاورة له ..

فجأة سقط الكاهن الأكبر نفسه على الأرض جثة هامدة لا حياة فيها ..

وفجأة سكن كل شىء ، إلا بسمة (حريحور) المتسعة ، وعبث أصابعه فى السن العاجى المتدلى من قلادته الخرزية ..

ـ الوداع أيها الكاهن الأكبر ..

غمغم (حريحور) بها فى وحشية ، وفى استمتاع مرضى مبين ..

عليه أن ينال الآن كفايته من النشوة بالمنصب الجديد ، فالطريق إليه سوف يستغرق الكثير من الحزن المصطنع ، ومن دموع التماسيح ..

ولن يلاحظ أحد بسهولة ذلك الخط الأزرق فى لثة الميت العلوية ..

بالأحرى ، القتيل !

★ ★ ★

أسدل الستار على العرض فى سوق ( طيبة ) ، وقد انتصر ( حورس ) على عمه الشرير الذى قتل أباه ..

منح ( بازى ) القصير العاملين أجورهم ، ومع زحف الغروب على المدى من بعيد استعد الجميع للمغادرة ، فيما عدا ...

ـ ستعودين إلى المعبد ، هه ؟!

ندَّ السؤال عن ( بيبى ) ، فالتفتت إليه ( تايا ) مداعبة ضفائر شعرها ، لتقول :

ـ عرفت عنى ما تريد معرفته إذن ..



ابتسم ( بيبى ) قائلاً :

ـ ليس بعد ..

عقدت ساعديها أمام صدرها وسألته مبتسمة :

ـ ماذا تريد أن تعرف ؟!

اقترب منها ، وثبت نظراته فى عينيها قائلاً :

ـ أريد أن أعرف ما الذى يدفع خادمة المعبد الكبير لأن تعمل ممثلة فى فرقة شوارع ؟!

قالت ( تايا ) دون أن تحول عينيها عن نظراته :

ـ نفس الذى يدفع ابن الموظف المحترم وشقيق الكاهن الأكبر وقائد فصيلة فى الجيش لارتكاب حماقة كهذه ..

اقترب ( بيبى ) منها أكثر وهو يقول ضاغطًا على حروف كلماته :

ـ إننا نتشابه فى شىء جوهرى إذن ..

ابتسمت ( تايا ) وهى تقول فى جرأة :

ـ ولم لا تقول أشياء ؟!

اقترب ( بيبى ) منها حتى كاد الوجهان يتلامسان ، وهو يقول :

ـ لكنى أحرقت كل سفن العودة من خلفى ، أما أنت فتهربين ثم تعودين ..

تنهَّدت (تايا) ، وأبعدت وجهها عنه قائلة :

ـ ليست لى جرأتك اللامحدودة هذه بكل أسف ..

احتوى بأصابعه ذقنها ، وحول وجهها إليه ليقول :

ـ تستطيعين فعل أى شىء إذا كانت لديك الإرادة الكافية ..

التقت عيناهما طويلاً ، قبل أن يقول (بيبى) همسًا :

ـ .. أحبك يا (تايا) ..

لم تدر (تايا) بنفسها إلا وهى تنسل هاربة منه ومن أسر كلماته وحنانه ورقته ، عائدة تهرول فى طريق المعبد حيث الكباش تنظر إليها من الجانبين ..

★ ★ ★

طفل صغير فى السادسة عشرة من العمر ، يعتلى عرش (طيبة) الذهبى ، بتاج الوجهين يكلل هامته الضعيفة ..

ـ أتقدم باسم كهنة (آمون) جميعًا بأسمى آيات الإجلال إلى مولانا وحافظ عرش البلاد سمو الملك (رمسيس الحادى عشر) ..



نطق بها (حريحور) فى خطابة ونفاق ، وهو ينحنى أمام الملك الصغير ، ولم ينبس الأخير بكلمة ، إذ تولى الرد عنه وزيره الواقف خلف العرش.، الأشيب ذو العينين الصارمتين :

ـ مبايعتك مقبولة أيها الكاهن الأكبر ..

رفع (حريحور) ظهره وعينيه ، وأخفى المقت فى نظراته إلى الوزير إذ قال :

ـ الشكر لك أيها الوزير (ددف) ..

قالت الأميرة (نفرت) من جلستها على مقعد وثير مقابل :

ـ هل أنت شقيق (رامو) ، قائد فصيلة الجيش الفرعونى المحارب فى الجنوب ؟!

التفت إليها (حريحور) قائلاً فى بسمة صفراء :

ـ نعم ، يا مولاتى .. هو أنا ، وأنا هو ..

فكر (حريحور) بسرعة فى أن هذه هى الأميرة التى يعشقها أخوه (رامو) كما تقول الشائعات ، إنها أخت الملك شخصيًا ..

يالك من وغد ماكر يا (رامو) اللعين !

ـ أرجو أن تبلغنا بكل التطورات التى تجرى داخل المعبد ، كاهن (حريحور) ..

قالها (ددف) فى برود متغطرس ..

هكذا إذن يريد الوغد أن يسيطر على خيوط اللعبة بين أصابعه ، لكن هيهات .. لقد وقعت بين يدى (حريحور) أيها الـ ...

ـ بالطبع يا سيد (ددف) ، سأرفع عن كل شىء تقريرًا دوريًا مفصلاً ..

أومأ (ددف) برأسه الأشيب فى رضا قائلاً :

ـ هذا حسن ..

هذا الرجل هو الحاكم الفعلى من وراء واجهة الملك الصغير ..

هذا الرجل يريد أن يسيطر على كل شىء ..

هذا الرجل تجب إزاحته عن الطريق ..

هذا الرجل ، (ددف) !

★ ★ ★



أسنان تنهش فخذ الضأن ..

الحلة مطرزة بقطع لامعة ، والخوذة من الذهب الخالص .. اللحية طويلة يخالط بياضها السواد ، والشعر الخشن غير النظيف منسدل من أسفل الخوذة .. العينان غائرتان فى عظام الوجه البارزة ، والسمت بدوى همجى ..

ـ أعجبك طعام القرابين أيها الفارس (أور) ؟!

سأل (حريحور) الرجل المستغرق فى الطعام ، والذى أومأ له برأسه أن نعم ..

ـ .. سنعقد معًا حلفًا يا (أور) ، وسنكون معًا قوة ضاربة لا تقهر ..

أومأ (أور) برأسه مجددًا ..

ـ .. إن (طيبة) بكل خيرها ستكون ملكًا لنا وحدنا يا رجل ..

أومأ (أور) برأسه وعاد ينهش اللحم ويغرق فى الأرز والمرق ..

برقت عينا (حريحور) وهو يقول :

ـ .. هدفك الأول ، (ددف) ..

توقف ( أور ) عن المضغ للحظة ، ونظر إلى ( حريحور ) مليًا ، فقال الأخير :

ـ .. حدد الطريقة المناسبة لإبعاده عن الملك الصغير ، واترك لى أنا الباقى ..

تحدث ( أور ) أخيرًا بلكنته الصحراوية غير المفهومة :

ـ نقضى عليه !

هزّ ( حريحور ) كتفيه الممتلئين ، وقال :

ـ لك حرية التصرف المطلقة ، إنه لك ولرجالك ..

هزّ ( أور ) رأسه فى رضا ، وقال باسمًا فى شراسة :

ـ لقد أتى لمن لا يرحم !

وعاد يغرق فى الطعام ..

ابتسم ( حريحور ) وهو ينهض تاركًا إياه غارقًا فى شهوة الطعام ، وغادر الحجرة بأكملها إلى ساحة المعبد الواسعة ، حيث لمح أحد الحراس يجوب المكان فى نوبة تفتيش ..

ـ أنت أيها الحارس ..

ـ أجل أيها الكاهن الأكبر ..

ـ أين الخادمة ( تايا ) ؟!



ـ لا أدرى يا سيدى الكاهن ، إنها لم تظهر اليوم ..

ـ ما معنى هذا ؟!

ـ إنها كثيرًا ما تختفى ، وتعود للظهور فجأة ..

فكر ( حريحور ) مغمغمًا :

ـ تختفى وتعود للظهور فجأة ؟!

ثم نظر إلى الحارس :

ـ .. إذا رأيتها فأحضرها من يدها إلى مخدعى على الفور ، وإذا رأيت أمها العجوز فأخبرها أننى أريدها على وجه السرعة ..

ـ سأفعل ..

ـ هيا انصرف إذن فى الحال ..

انصرف الحارس ، وظل ( حريحور ) يراود الأفكار ..

وتراوده ..

★ ★ ★

## ٦

صحراء وشمس محرقة ورجل يصرخ ..

رجل أشيب له عينان لم تعودا صارمتين بعد أن غزاهما الرعب ..

رجل مقيد بالحبال ، والحبال مربوطة فى أوتاد مزروعة فى قلب الرمال ..

رجل يجاهد للخلاص ولا فائدة ..

رجل يدعى ( ددف ) ..

من حوله رجال يرتدون خوذات نحاسية على صهوات أحصنة ، وأمامه من يرتدى الخوذة الذهبية الوحيدة ؛ التى تتمتع بوهج خاص تحت أشعة الشمس المحرقة ..

( أور ) وفرسانه الغلاظ ..

الجوارح تعوى فى كبد السماء استعدادًا للانقضاض على الجثة الحية البائسة ..

يصرخ ( ددف ) :

ـ الرحمة ، لاتتركونى هنا ..



( أور ) يقول وهو يدور بحصانه :

ـ ليس الأمر بيدى يا صديقى ..

ـ سأفعل كل ما تريده منى ، لكن لاتتركنى هنا ..

ـ ليت الأمر كان بيدى ..

ثم صاح ( أور ) بجنوده :

ـ .. هيا يا رجال ..

أطلقوا صيحات الحماسة الجماعية ، ودبت سنابك الخيل فى بطن البيداء ، ليبتعد الرجال متجاهلين صيحات ( ددف ) المستنجدة ..

وصرخات الطيور الجائعة المنقضة على الفريسة فى نهم ..

★ ★ ★

ـ اجلسى يا ( لانيا ) ..

جلست العجوز أمام الكاهن الأكبر ، حائرة فى سر استدعائه المفاجئ لها ..

ـ .. تتساءلين بالطبع عن سر استدعائى المفاجئ لكِ ، ولكِ فى هذا حق لو أردتِ رأيى ..

قالت العجوز ( لانيا ) وهى تحاول تهدئة خفقان قلبها المضطرب :

ـ لعل الأمر خير ..

ابتسم ( حريحور ) فى ود وهو يقول :

ـ الخير كله يا امرأة ..

صمتت ( لانيا ) ، وراق لـ ( حريحور ) أن يلهو بأعصابها قليلاً قبل أن يقول :

ـ تعلمين بالطبع ـ يا عزيزتى ( لانيا ) ـ أن تقاليد الكهنوت لدينا لاتمنع زواج الكاهن ، بل وتحبذه فى بعض الأحايين ..

هزت ( لانيا ) رأسها بالإيجاب ، متسائلة بينها وبين نفسها عن صلة ما يقوله الآن بما يريدها من أجله فعلاً ..

ـ .. وأنا يا عزيزتى قد قررت الزواج ..

بدأت تفهم ، لكنها فى حاجة لبعض التيقن ..

ـ تتزوج ممن ؟!

اتسعت ابتسامة ( حريحور ) إذ قال :

ـ ابنتك ( تايا ) بالطبع ..



شهقت المرأة ، وهتفت مأخوذة :

ـ ( تايا ) ؟!

قال ( حريحور ) فى تؤدة :

ـ أى شرف ستناله بزواجها من كاهن ( آمون ) الأكبر شخصيًا ؟!

ـ لكن ...

قاطعها :

ـ أعلم أنها منخرطة فى نزق الشباب وحميته ، لكنها ستكبر يا امرأة .. إنها تهرب لترى العالم فى الخارج ثم سرعان ما تعود ، وفى عودتها الدائمة خير دليل على ما تتمتع به من رجاحة عقل تؤهلها للزواج بى ..

نهضت العجوز باسمة وقائلة :

ـ سأزف إليها البشرى السعيدة إذن فور عودتها ..

ـ وزواجى بها سيكون غدًا ، فأنا لا أطيق صبرًا على جمال ابنتك الوحيدة يا امرأة !

★ ★ ★

ـ ماذا تقولين يا أماه ؟!

ـ ما سمعته يا ( تايا ) ..

ـ الكاهن ( حريحور ) شخصيًا يريد الزواج بى ؟!

ـ لقد ابتسم لك القدر يا بنت بطنى ..

ـ هذا إذن سر نظراته السخيفة لى فى الآونة الأخيرة ..

ـ إنه يكن إعجابًا رهيبًا بسحرك وفتنتك ، ويريد أن ينالك غدًا ..

ـ غدًا ؟!

ـ قال لى إنه لا يطيق صبرًا ..

ـ لكن ..

ـ إياك وأن تفكرى فى غير القبول ، إنها فرصة لن تتكرر ..

ـ لم أرد أن تحدث أصلاً حتى أتمنى أن تتكرر !

ـ ماذا ستفعلين إذن ؟!

ـ سأتحلى بالإرادة الكافية ..

ـ الإرادة لفعل ماذا ؟!

ـ سترين بنفسك ..



ولم تر ( تايا ) أمامها فى هذه اللحظة وجهًا سواه .. ( بيبى ) !

★ ★ ★

كان ( بيبى ) مستغرقًا فى النوم داخل زورق راسٍ على ضفة النيل الشرقية ، عندما شعر بمن يهزه ويوقظه مناديًا باسمه ..

ـ من ؟!

نطق بها وهو بين النوم والصحو ، يتأرجح خفيفًا فى تلك المنطقة السحرية الغامضة ..

ـ انهض يا ( بيبى ) ، هذه أنا .. ( تايا ) ..

نهض ( بيبى ) مفزوعًا ، وهو يهتف بها :

ـ ( تايا ) ؟! ما الذى أتى بك الآن ؟!

صمتت هنيهة تحدق فيه ، جالسة على حافة الزورق الراسى ، قبل أن تقول :

ـ هلَ توافق على الزواج منى يا ( بيبى ) ؟!

ظن ( بيبى ) أن أذنيه تخوناته ، فهزّ رأسه نافضًا آخر أثر للنعاس داخله ، قبل أن يسأل :

ـ ماذا تقولين ؟!

كررت السؤال بنفس الصيغة واللهجة الحازمة :

ـ هل توافق على الزواج منى يا ( بيبى ) ؟!

هتف بها فى حبور :

ـ بالطبع .. بالطبع أوافق وأتمنى هذا يا عزيزتى ..

أمسكت بيده :

ـ هلم إذن ..

سألها وهو يطاوعها :

ـ إلى أين ؟!

أجابته وهما يعدوان فى الجهة المقابلة للنهر :

ـ إلى منزل أبيك القديم ، فنحن الآن زوج وزوجة !

★ ★ ★

ـ كفاك عمل اليوم يا مولاى الملك ..

قالها ( حريحور ) وهو يلملم لفافات البردى من أمام الفتى الصغير الذى احمرّت عيناه من فرط السهر والإرهاق ، فوضع الأخير ختمه الملكى جانبًا وهو يقول :

ـ إن مهام الملك جسيمة حقًا ..



ابتسم ( حريحور ) فى تزلُف قائلاً :

ـ أنا بجوارك يا مولاى ، ويمكنك الاعتماد علىَّ اعتمادًا كاملاً ..

قال ( رمسيس ) وهو يهزّ رأسه مناولاً إياه الختم :

ـ سيكون هذا أفضل بالقطع ، هاك ختمى الملكى وباشر أنت الأعمال بالنيابة عنى أيها الكاهن ..

تناوله ( حريحور ) بعينين تلمعان ، وهو يقول :

ـ إنها أمانة باهظة حقًا يا مولاى ..

غمغم ( رمسيس ) :

ـ لا أجد من هو أفضل منك ليحملها بعد اختفاء ( ددف ) ..

قال ( حريحور ) :

ـ تقصد هروبه يا مولاى .. كانت نظرتى فيه أنه ليس أهلاً للمسئولية ، ونظرتى فى البشر لا تخيب أبدًا ..

قال ( رمسيس ) :

ـ أحتاج لإجازة طويلة لا أشعر فيها بأدنى قدر من المسئولية ..

ـ دعنى أعدها لك بنفسى يا مولاى ..

ومن وراء الستار كانت عينا الأميرة (نفرت) تراقب ما يحدث فى غير رضا ..

وفى غضب دفين ..

عاد (حريحور) إلى صومعته والسعادة تقفز فى عينيه، ليجد (لانيا) تنتظره أمام مدخلها بملامح يعشعش فى أركانها التوتر القاتل ..

ـ (لانيا)، كيف حالك وكيف حال ابنتك ؟!

ابتلعت العجوز ريقها فى صعوبة، وهى تحاول أن تقول :

ـ فى الحقيقة .. الأحوال سيئة للغاية يا سيدى الكاهن ..

لم يكن (حريحور) فى مزاج يليق بالانفهرار، لذا فقد سألها فى بساطة :

ـ ألم تعد ابنتك منذ البارحة أم ماذا ؟!

قالت المرأة المترددة بين الإقدام والإحجام :

ـ بل عادت، وصارحتها بمطلبك يا مولاى ..

عاد (حريحور) يقول فى بساطة :

ـ ورفضت ؟!



هزت (لانيا) رأسها بالإيجاب ولم تقو على التفوه بالمزيد، فأشاح (حريحور) بيده قائلاً :

ـ دعك منها، إنها طفلة غريرة لا تحسن الاختيار ..

قالت (لانيا) على الفور :

ـ تمامًا يا سيدى الكاهن، لو كنت فى مكانها لما اخترت مثل هذا الاختيار الخاطئ ..

قال (حريحور) متبسطًا :

ـ سأجلس معها، وأعرف كيف أقنعها بالزواج منى ..

ـ لـ .. لكنها هربت ثانية !

ـ ستعود، إنها تعود فى كل مرة تهرب فيها ..

ـ كلا، هذه المرة (تايا) لن تعود ..

هنا بدأ (حريحور) يستشعر الخطر خلف أقوال (لانيا) المتقطعة، فسألها وقد تبددت سعادته وتطايرت نشوته :

ـ ماذا تعنين يا (لانيا) ؟!

قالت (لانيا) :

ـ لقد تزوجت هذه الـ ...

صاح بها ( حريحور ) مصعوقًا :

ـ ماذا تقولين ؟! تزوجت ؟!

انكمشت ( لانيا ) وهى تهزُّ رأسها بالإيجاب ، وانقض ( حريحور ) عليها قابضًا بأصابع من فولاذ على معصميها الهشين ، وصائحًا كالمجنون :

ـ تزوجت ممن ؟! ممن ؟!

صاحت ( لانيا ) فى ألم وهى تشعر بمعصميها يتحطمان :

ـ ممثل جوال صعلوك يدعى ( بيبى ) !

هنا ردد المعبد صرخة هائلة ، لم يعرف أحد مصدرها الفعلى حتى الآن ..

★ ★ ★

فتح ( بيبى ) باب المنزل فى بداية الليلة الثانية لزواجه من ( تايا ) ، ليفاجأ بعدد مهول من حرس المعبد واقفين أمامه ..

ـ ماذا تريدون ؟!

سأل متوجسًا ، فى حين تصاعد هتاف ( تايا ) من الداخل :

ـ من يا ( بيبى ) ؟!



وتزامن السؤال مع سؤال الحارس المواجه للباب :

ـ أنت ( بيبى ) ؟!

ـ أجل هو أنا ..

قبض الحارس على معصمه ، قائلاً فى صرامة يفرضها الواجب :

ـ أرسلنا المعبد للقبض عليك ..

ـ المعبد ؟!

هتف بها ( بيبى ) مستنكرًا ، فى اللحظة التى بدأ الحارس فيها يجره خلفه ..

ـ لكن .. انتظر .. إننى ..

ضاعت محاولات ( بيبى ) سدى ، وتصاعدت صرخة هلع من حنجرة ( تايا ) وهى ترى زوجها يُقاد إلى حيث يواجه كراهية عمياء ، لا قبل له بها ..

★ ★ ★

الجموع الغفيرة فى ساحة المعبد ، الكاهن الأكبر ( حريحور ) يقف على منصة الكهانة العليا بنظرات متجهمة ، و( بيبى ) مقيد

أمام مذبح القرابين ، بينما ( تايا ) تصرخ وتنشج بين أذرع الحراس القوية ..

ـ وهكذا فلابد أن تتحقق العدالة مهما كان الثمن باهظًا ..

قالها ( حريحور ) ثم أشار إلى أخيه المقيد بالحبال متابعًا :

ـ .. إن هذا المارق قد خرج على تعاليم الكاهن الأكبر ، ومن يخرج على تعاليم الكاهن الأكبر فقد خرج على تعاليم الآلهة ، ومن يخرج على تعاليم الآلهة يغضبها ويستجلب على البلاد لعنة كبرى لا قبل لها بها ..

الواقفون ذاهلون ، مغيبون ، و( تايا ) ما زالت تصرخ :

ـ اتركوه ، إنه لم يقترف ذنبًا .. أنا التى جعلته يتزوجنى ..

صاح فيها ( حريحور ) :

ـ كان يعلم بأنك خادمة فى المعبد ، وأن من يدفع خادمة المعبد للهرب فجزاؤه الموت ..

تهامس اثنان من الواقفين :

ـ منذ متى كانت هذه عقوبة الهرب من المعبد ؟!

ـ ربما منذ زمن بعيد .. إننا لم نشهد محاكمة هارب من المعبد من قبل !

وتهامس آخران :



ـ إذا كانت هذه عقوبة الهرب من المعبد فليحكموا على الهاربة بالموت لا على من تزوجها !

ـ صه يا رجل ، وإلا سمعونا وأصبحنا من المتهمين ..

( بيبى ) مستكين فى قيوده ، مستسلم ـ على ما يبدو ـ لمصيره المحتوم ، أو لعل عقله يأبى التصديق .. وحدها ( تايا ) تصرخ وتقاوم دون جدوى ..

أعلن ( حريحور ) :

ـ الآن ، تتم العدالة .. وينال الآثم جزاءه بالموت على مذبح القرابين .. إن روحه ستصعد قرباناً آخر للإله علّه يعفو عنه وعنا ..

ذاهلاً سأل ( بيبى ) :

ـ ستقتلنى حقًا يا ( حريحور ) ؟!

تجاهل ( حريحور ) سؤاله ، وبدافع من النيران المستعرة فى أعماقه أشار لرجاله ، فتقدم أحدهم يحمل سيفًا له نصل لامع ، قربه من رقبة ( بيبى ) ، وفى لحظة واحدة ..

علت الصرخة الملتاعة ، وتدفق الدم غزيرًا عند المذبح ..

★ ★ ★

# ٧

شهور طويلة مرت قبل أن تنتهى الحرب فى الجنوب ..

ـ الآن أيها الجنود البواسل نستطيع العودة إلى بلادنا أخيرًا ..

هتف بها قائد الجيش فى حماسة ، وهو يرمق الجنود الذين أنهكتهم الحرب وقلصت من عددهم أمامه ، فلم تسرِ حماسته فى عروقهم كما كان يحدث فى المعتاد ..

نظر (رامو) نحو الشمال ، ثم تبادل نظرة مع صديقه (نفر) ، فتفاهما دون كلمات ..

نعم ، حان وقت العودة إليها ..

(طيبة) الحبيبة ..

★ ★ ★

هتفت الأميرة (نفرت) فى غضب :

ـ أريد أن أعرف ، أى صنف من الملوك أنت ؟!

نظر إليها (رمسيس) ، شقيقها الأصغر فى دهشة وهو يسأل :

ـ ماذا حدث يا (نفرت) ؟!

كانت قد اقتحمت عليه غرفة نومه ، وقد أعماها الغضب عن حسن التصرف :



ـ إن كل شىء ينهار فى (طيبة) أيها الملك الهمام .. يا حفيد الرعامسة العظام ..

أشار (رمسيس) لها نحو حافة سريره حيث يرقد ، وقال :

ـ اهدئى قليلاً وأفهمينى .. ما الذى ينهار فى المدينة بالتحديد ؟!

أجابته (نفرت) فى عصبية عارمة :

ـ كل شىء .. الحضارة والقيم والمجتمع والصناعة والزراعة والتجارة وحتى الفنون ، وأنت هنا نائم على أذنيك ، وقد أسلمت الزمام لبعض الهمج الذين لا يراعون شيئًا سوى مصالحهم الشخصية ومنافعهم الذاتية ..

قال (رمسيس) فى براءة :

ـ إن كل شىء فى يد (حريحور) ..

صاحت (نفرت) وقد عيل صبرها :

ـ وهو أول الفاسدين ..

نظر الفتى إليها مستنجدًا ، وبعينين تملؤها استغاثة :

ـ ماذا عساى أن أفعل إذن ؟!

قالت وهى تحاول أن تتمالك أنفاسها المضطربة :

ـ افعل ما يفعله الرجال ..

وأردفت مستطردة :

ـ .. لن يرحمك التاريخ لو تهاونت عن التحرك ، أو تقاعست عن أداء واجبك .. إن قدرك أن تصبح ملكا صغيرًا ، وعليك أن تقف فى وجه هذا القدر بصلابة لتثبت أنك كفء لهذا الاختيار ، وإلا ...

وصمتت ، ثم غادرت الغرفة ..

★ ★ ★

( طيبة ) من جديد .. الأم العجوز التى بدأ المشيب فى الزحف المهين على شعرها ..

السوق بقايا من بضائع وباعة وبشر ، ليس هناك إلا الجراد الذى يلتهم الأخضر ويتحين فرصة الانقضاض على اليابس ، هذا مارآه ( رامو ) وما عجزت عيناه عن تصديقه برغم الوضوح ..

أين ذهب كل شىء ؟!

حاول البحث عن وجوه يعرفها فلم يجد ، ليس هناك إلا أصحاب الخوذات النحاسية اللاهون بالمعروضات القليلة .. المتحرشون بالفتيات .. والضاحكون كوحوش فى البرية ..

حاول البحث عن المسرح فى أقصى السوق ، لكنه لم يجد إلا هياكل خشبية وستائر ممزقة ، فعاد السؤال يطرح نفسه : أين ذهب كل شىء ؟!



فجأة لمح وجهًا يعرفه ، ( بازى ) بوجهه الغارق فى حمرة الاحتقان ، وبلحيته البيضاء من غير سوء ، يجرع من قنينة فى يده وهو جالس على طرف المسرح المنهدم ..

ـ ( بازى ) .. أنت ( بازى ) الممثل ، أليس كذلك ؟!

نظر إليه ( بازى ) بعينين أدارهما الخمر ، قبل أن يسأل فى غلظة :

ـ من أنت ؟!

ودهمه الفواق ، لكن ( رامو ) لم ييئس وهو يقول :

ـ أنا ( رامو ) شقيق ( بيبى ) .. الذى كان يمثل دور ( أوزوريس ) فى مسرحيتك ..

وجد ( بازى ) يصيح فيه :

ـ ( بيبى ) لم يكن يمثل .. ( بيبى ) ( أوزوريس ) حقيقى !

جاراه ( رامو ) قائلاً :

ـ ليكن ، أين هو الآن ؟!

أشار ( بازى ) نحو الغرب هاتفًا :

ـ هناك ، يتسيد عالم الموتى السفلى ..

مط ( رامو ) شفتيه وقد أيقن باستحالة الوصول إلى شىء من حديث هذا السكير ، فتركه وعاد يدور فى السوق بحثًا عن ...

وفى النهاية وجد (كاف) و(نون) ..

الزوجان الكسيران ، يسيران كشبحين من الموتى بين البضائع المستباحة فوق أرض السوق ..

ـ (كاف) .. (نون) .. أين أنتما ؟!

دنا منهما فى سرعة ، فطالعه وجهان شاحبان ، وعيون شاردة منتزعة من الحياة ..

ـ (رامو) .. لقد عدت أخيرًا ..

قالها (كاف) دون شعور ، وقالت (نون) متهكمة :

ـ نعم ، بعد فوات الأوان ..

سألهما (رامو) فى لهفة :

ـ أين كل شىء ؟! أين بضائعكما وبضائع الناس ؟! أين المشترون والمارة ؟! أين المسرح وأين (بيبى) فى ملابس (أوزوريس) ؟! بل وأين ابنكما (توت) أيضًا ؟!

انطلقت (نون) تجهش بالبكاء الحار ، دافنة وجهها بين كفيها ، فوجم (رامو) للحظة قبل أن يتولى (كاف) إفهامه :

ـ (توت) ذهب .. ذهب بغير رجعة ..

ـ مات ؟!



ـ بل قُتل .. قتله الأوغاد المرتزقة فى إحدى غاراتهم البطولية على السوق من أجل السلب والنهب والتدمير ..

شعر (رامو) بطعنة نجلاء فى قلبه ، لكن هذا لم يكن كل شىء :

ـ .. و(بيبى) أيضًا ..

سأل (رامو) وقلبه ينفجر بين ضلوعه :

ـ ماذا عنه ؟!

ألقاها (كاف) فى وجهه دون أن يلقى بالا لأى شىء ، كأنه قد أضحى بلا مشاعر :

ـ قُتل ..

صرخ (رامو) :

ـ لا .. قتلوه هم أيضًا ؟!

ـ بل قتله كاهن المعبد الأكبر ..

اتسعت عينا (رامو) فرقًا :

ـ (إمنحتب) ؟!

صرخت (نون) من بين دموعها :

ـ بل (حريحور) .. قتله أخوه وأخوك يا (رامو) ..

أمطرت السماء ثلجًا فوق رأس (رامو)، وانعقد لسانه ألف عقدة وعقدة، وشعر بأنه قد مات فى وقفته أكثر من مرة، دون أن يشعر بأدنى ألم!

* * *

- كان يستحق هذا ..

قالها (حريحور) بكل صفاقة، مستقبلاً (رامو) فى قاعته الخاصة ..

- كلايا (حريحور)، أرجوك أخبرنى أنك لم تفعلها .. أرجوك ..

قالها (رامو) مستجديًا، لكن (حريحور) تمادى فى صفاقته الشنيعة:

- الرجل الحق لا يهرب من مواقفه يا أخى ..

شهق (رامو) فى ذهول وهو يحاول أن يقول:

- لقد قتلته إذن، قتلت ابن أبيك وأمك .. يا للكارثة .. يا للبشاعة!

قال (حريحور) هازًا كتفيه فى عدم اكتراث:

- لقد أوقعت عقابًا بمن يستحقه يا (رامو) .. قبل أن أكون أخًا فأنا رجل يهمه أن يكون العدل ساريًا على الجميع ..



انفجر فيه (رامو) هاتفًا:

- عن أى عدل تتحدث ؟! الجميع يعلمون أنك قد قتلته من أجل امرأة أحبته ولم تحبك .. اسمها (تايا) لو كان الاسم مازال عالقًا بذاكرتك بعد كل هذه الشهور .. ألا تبلغك همهمات العامة فى صومعتك المنعزلة هذه ؟!

ضيق (حريحور) عينيه وقال:

- دعهم يقولون، ودعنا نحن نعمل فى صمت يا أخى ..

- نحن من ؟!

سأله (رامو) وهو يحاول أن يتمالك أعصابه الثائرة، فأجابه (حريحور) فى تؤدة:

- نحن، أنا وأنت أعنى .. إن (بيبى) لم يكن إلا شخصًا تافهًا بلا قيمة، لم نفقد بخسارته الكثير .. أما أنت فمقاتل عرك الحروب وضابط برتبة قائد فصيلة فى جيش البلاد النظامى، أى أن لك دورًا أساسيًا معى ..

- فى أى شىء ؟!

- فى المرحلة القادمة من تاريخ هذه البلاد المجيدة ..

- أنت تطمح إلى العرش إذن يا (حريحور) ..

- وأدنو منه فى هدوء وصبر يا أخى العزيز ..

ـ وتريد منى أن أشاركك مؤامراتك الحقيرة هذه ؟!

ـ خفف من نعرتك قليلاً وفكر فى الأمر بشىء من الروية ..

عاد ( رامو ) ينفجر فيه :

ـ أى روية وأى تفكير ؟! لقد قتلت أخى .. هل تعلم أنك منذ اللحظة قد أصبحت عدوًا لى ؟!

من المستحيل أن أضع يدى فى يدك الملوثة بدمائه .. مستحيل !

ـ أنت معى شئت أم أبيت ..

قالها ( حريحور ) ليسكته ، ثم إنه فصّل بعد إجمال :

ـ .. لقد صدر مرسوم ملكى منذ يومين بتعيينى قائدًا أعلى لجيش ( طيبة ) بالإضافة إلى المهام والسلطات التى أجمعها فى قبضتى ، وبصفتك مجرد ضابط فى هذا الجيش الضخم ، فلستَ إذن إلا أحد العاملين لدى ، وتحت سلطتى وإمرتى الخاصة ..

اتسعت عينا ( رامو ) فى ذهول ، فيما جلجلت ضحكة ( حريحور ) فى أنحاء صومعته الخاصة ..

★ ★ ★



منزل الأب القديم ..

دنا ( رامو ) فى بطء ، قبل أن يطرق الباب المتهالك عدة طرقات ، لينفتح فى النهاية عن وجه ( تايا ) الصارم ، وهى تحمل بين ذراعيها طفلاً رضيعًا فى أيامه الأولى ..

ـ ( رامو ) ؟!

تساءلت فى غير تصديق ، فهزّ ( رامو ) رأسه وهو ينظر إلى الطفل سائلاً :

ـ أهذا ؟!

لم يستطع الإكمال ، لكن ( تايا ) فهمت وأجابت على الفور :

ـ أجل ، هو .. ابن ( بيبى ) ..

حار ( رامو ) بين التبسم والبكاء ، وجاش صدره بانفعالات شتى لم يَخْبُر مثلها من قبل ، فسقط متهالكًا على مقعد فى الداخل ، بينما اقتربت هى منه قائلة :

ـ لقد بلغتك الأنباء إذن ..

قال مصارعًا خيالات فى رأسه :

ـ متأخرًا جدًا ..

وضعت الطفل بين ذراعى عمه ، الذى حار بين ملامحه التى لم تتشكل بعد ، وملامح أمه التى اكتست بصلابة لم يعهدها فيها من قبل ..

ـ وماذا تنوى أن تفعل ؟!

ـ لا أعرف ..

سألته فى جمود :

ـ ما معنى لا أعرف هذه ؟!

لم يحر ( رامو ) جوابًا ، غير أنه قال فى النهاية كأنما يبرر ضعفه لنفسه :

ـ مع من أقف ؟! وضد من ؟!

قالت ( تايا ) وصدرها يعلو ويهبط :

ـ مع المظلوم فى وجه الظالم ..

ـ كلاهما شقيقى ..

هتفت به :

ـ هذا ما تقوله لنفسك حتى تبرر ضعفك ، وقلة حيلتك تجاه ثأر أخيك ..



ثم إنها انتزعت الطفل من أحضانه ، وجذبته من ذراعه باتجاه باب المنزل صارخة :

ـ .. اتركنى واذهب ، ثأر ( بيبى ) لن يأخذه سوى ابنه .. إن الأسطورة تعيد نفسها على أرض الواقع .. ( ست ) يقتل ( أوزوريس ) ، و( إيزيس ) تربى ( حورس ) حتى يثأر لأبيه عندما يكبر ويشتد ساعده .. أما أنت فلامكان لك فى الأسطورة .. هيا اذهب ، اذهب من حيث أتيت ولاتعد إلى هنا ثانية أبدًا ..

وجد ( رامو ) نفسه واقفًا بالخارج ، ورأى باب المنزل يصفق فى وجهه ، وكاد ينهار فى وقفته لولا أن تماسك للحظة ..

ورأى الغروب البعيد ..

★ ★ ★

ـ مازلت تأتين إلى هنا برغم كل هذه الظروف ..

التفتت ( نفرت ) ، وأشرقت ملامحها الذابلة عندما رأت ( رامو ) يباغتها فى نفس المكان كالمعتاد كلما عاد ..

ـ كنت أعرف أنك ستعود ..

اقترب منها ، وتنهد ناظرًا إلى صفحة النيل قبل أن يقول :

ـ ليتنى لم أذهب ..

وضعت يدها على كتفه هامسة :

ـ وماذا كان بوسعك أن تفعل ؟!

عاد يتنهد ويقول :

ـ لا أعرف .. كل شىء يختلط فى عقلى وأمام عينى حتى إنى لا أفهم شيئا ..

قالت فى إشفاق :

ـ لا تضغط على نفسك ..

ـ العجز قمة المهانة يا ( نفرت ) ..

هنا بدأ ( رامو ) فى البكاء ، وقد شعر باستحالة كبت دموعه عند هذا الحد :

ـ .. إن القاتل والقتيل أخوان لى ، فماذا بوسعى أن أفعل ؟!

بكى بحرقة ..

بكى كثيرًا ..

واحتوته ( نفرت ) بذراعيها فى صمت ..

وفى حب ..

وتفهُّم ..

★ ★ ★

# ٨

انقلاب ..

فى ظلام الليل المدلهم وقع كل شىء ..

احتل جنود ( أور ) المرتزقة القصر الملكى ، وتم تنصيب ( حريحور ) ملكًا على جنوب المملكة المصرية وعاصمتها ( طيبة ) ، على أن يكون ( أور ) شريكه فى الحكم وحليفه العسكرى ، وتم إصدار مرسوم ملكى بتحديد إقامة الملك المخلوع ( رمسيس الحادى عشر ) وأسرته فى داخل القصر ، على أن يدار حكم البلاد مؤقتًا من معبد ( آمون ) الكبير ..

وهكذا أشرقت الشمس على عهد جديد فى ( طيبة ) ..

بات ( رامو ) ليلته فى العراء على شاطئ النهر ، ولما طلع النهار وهبط إلى السوق بحثًا عن طعام أو عن بقايا طعام ، وافاه ( كاف ) بالأنباء الجديدة التى يتناقلها الجميع ، والسارية سريان النار فى الهشيم ..

ـ ( حريحور ) أصبح ملكًا إذن ..

غمغم بها (رامو) ، ثم أردف متهكمًا بوجه مسودّ :

ـ .. وأنا شقيق الطاغية الجديد .. أى عار !

وتذكر أمرًا ، فخف على الفور إلى جهة ما ناسيًا أمر الطعام وبقاياه ..

★ ★ ★

الشيخ الذى يجدل ما بقى من شعر رأسه فى ضفيرتين جانبيتين ، والمرتدى ثوبًا بسيطًا من الكتان الأبيض ، يضع غِرَارَته على ظهر حصانه ، ويستعد لرحلة بعيدة بعد أن أضرم فى بيته القديم النار !

ـ ماذا يحدث يا عماه ؟!

صاح (رامو) وهو يقترب من التبة صاعدًا ، فغمغم (وست) لنفسه :

ـ جئت متأخرًا يا (رامو) .. متأخرًا جدًا يابن أخى ..

صاح (رامو) وهو يراقب ألسنة الدخان المتصاعدة فوق حريق المنزل :

ـ من أحرق منزلك هكذا ؟!



قال (وست) وهو يمتطى صهوة جواده :

ـ أحرقته بنفسى قبل أن يفعلوا ..

متألمًا هتف (رامو) :

ـ ولم ؟! لقد أحرقت كتبك وأحلامك و ....

صاح (وست) فى حسم :

ـ النار تطهر كل شىء يابن أخى ..

ـ لكن ..

المزيد من الحسم :

ـ انس الماضى ، وابدأ من جديد ، أنت الأمل الأخير فى (طيبة) أخرى يا (رامو) ..

ذهول :

ـ أنا ؟!

حسم وحسم :

ـ فتش فى داخلك عن بطل يصلح لإنقاذها ، ومن يدرى ؟! فلربما عثرت عليه .. أما أنا فسأبحث عن نهايتى فى مكان آخر لا تحترق فيه الأحلام ..

ثم لكز بطن جواده وانطلق بعيدًا ، تاركًا ( رامو ) يحدق فى النار ، وقد اندلعت فى أعماقه شرارة ما ..

★ ★ ★

عندما هبط ( رامو ) إلى السوق هذه المرة ، كان وجهه يحمل سمتًا مختلفًا ، وكان يبحث بعينيه عن شىء ما ، وجده أخيرًا فى جندى مرتزق يتحرش بفتاة مصرية غاضبة ..

سأله ( كاف ) :

ـ إلى أين ؟!

لكنه لم يجب ، واتجه من فوره إلى الجندى الذى لم يشعر باقترابه ، واستدار فقط عندما شعر بتربيتة على كتفه من الخلف ، ليفاجأ بعدها بلكمة تطرحه أرضًا فاقدًا لوعيه ..

وجم الواقفون جميعًا ، الطيبيون شعروا بالفخر ، والمرتزقة القليلون شعروا بالخوف ولاذوا بالفرار ، وانهال التصفيق إيذانًا بمولد شىء جديد ..

و( رامو ) جديد ..

★ ★ ★



طرق ( رامو ) باب منزل أبيه القديم المتهالك مرارًا وتكرارًا ، وكاد يفقد الأمل فى وجود أرملة أخيه وابنها عندما لم يجبه أحد ..

أتكون قد هجرت المنزل ـ بل و( طيبة ) كلها ـ كما فعلت ( إيزيس ) فى الأسطورة ؛ لتربى ابنها حتى يكبر ويشتد عوده ويمسى قادرًا على الانتقام ؟!

أم ؟!

لم يجد وقتًا للمزيد من التخمينات ، فقد باغته الهتاف من خلفه فجأة :

ـ قف مكانك ، من أنت ؟!

التفت ، ورأى ( تايا ) تمسك رمحًا تسدده نحوه ، وابنها نائم على الأرض القريبة ..

ـ إنه أنا يا ( تايا ) ..

زفرت ( تايا ) فى ارتياح ، وألقت الرمح قائلة :

ـ ظننتك أحد حرس المعبد ..

سألها :

ـ هل يأتون كثيرًا ؟!

أجابت حاملة ابنها من فوق الأرض :

ـ أرسل لى ( حريحور ) واحـدًا منـذ قليل ليعرض علـى ـ بالحسنى ـ العودة إلى المعبد معززة مكرمة ، كزوجة للكـاهن الأكبر ..

عاد يسألها :

ـ وماذا كان ردك ؟!

قالت :

ـ أوصيت حامل الرسالة أن يبصق فى وجه مرسله !

ابتسم ( رامو ) على الرغم منـه ، ورمـق ملامحها التـى تزداد صلابة يومًا بعد يوم ، قبل أن يقول :

ـ لهذا أنت فى انتظار المزيد من الحرس ..

ـ لن يصمت أخوك على إهانة كهذه ، ولربمـا أرسل فـى جلبى بالقوة ..

أشار إلى المنزل قائلاً :

ـ لهذا لستِ فى المنزل ..

قالت ( تايا ) فى لهجة عملية :

ـ ولا أنوى المكوث فيه ، أريد أن أذهب بابنى إلى مكان بعيد ..



ما زالت تريد للأسطورة أن تتحقق ..

ـ .. هل تستطيع مساعدتى يا ( رامو ) ؟!

ما زال لديها أمل فيه ، هذا مشجع حقًا ..

ـ .. بل السؤال الأصح هو : هل تريد مساعدتى ؟!

تناول الطفل النائم فى وداعة منها ، وقال باسمًا :

ـ سأساعدك يا ( تايا ) ، ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى ..

وابتسمت ( تايا ) أخيرًا ..

★ ★ ★

أركبها وابنها قاربًا من البردى ، وناولها المجدافين قائلاً :

ـ أبحرى فى اتجـاه الجنـوب ، ستجدين فى النوبة المـلاذ الآمن بالتأكيد ..

تناولت ( تايا ) المجدافين بعـد أن وضعت الطفل فى قاع القارب ، ونظرت إلى ( رامو ) قائلة فى امتنان :

ـ لا أدرى كيف يمكننى أن ..

أسكتها ( رامو ) مقاطعًا :

ـ لا حاجة بى لسماع كلمات من هذا النوع ..

سألته (تايا) بعد لحظة تردد :

ـ ألا تفكر فى المجىء معنا ، حتى نعود معًا ؟!

ابتسم (رامو) قائلاً :

ـ أمامى مهام من نوع آخر هاهنا .. أما أنت فاهتمى بابن أخى جيدًا .. لاتزرعى فى قلبه بذور الحقد والكراهية السوداء منذ طفولته حتى يشب فلايرى أمامه إلا الدم والانتقام ، اجعلى منه بناءً للحياة لاشبح موت ..

اغرورقت عيناها بالدموع وهى تقول :

ـ سأفعل ..

التمعت عيناه وهو يقول :

ـ أما ثأر أخى فهو دين فى عنقى ، إذ لن يأخذه أحد سواى .. وليهدأ بالك تمامًا من هذه الناحية ..

بكت (تايا) ليمتزج حَزنها بالفرح ، ودفع (رامو) القارب فى النهر لتبدأ هى فى التجديف نحو الجنوب ، حتى غابت عن بصره ببطء ..

وهنا ، حانت اللحظة ..

امتدت يد (رامو) نحو قلادة الخرز التى يتدلى منها سن العاج المدبب ، وانتزعتها من مكانها ، ودون حتى أن ينظر



إليها طَوحها (رامو) بكل ما يملك من قوة فى منتصف النهر لتغوص فيه .. ولتبقى هناك إلى الأبد ..

★ ★ ★

ـ اللعين ..

زمجر بها (حريحور) فى غضب عنيف ، وهو يحدق فى لفافة البردى التى حملها إليه أحد حراسه ، ثم تابع فى حنق ساخط :

ـ .. الوغد يتحدانى ، يعترف بتهريبه للمرأة وطفلها ، ثم يتوعدنى بالمزيد .. أى مزيد أيها الـ ...

ارتعد الحارس الواقف أمامه من وحشية لهجته ، وارتعد أكثر عندما توجه إليه بالحديث :

ـ .. كيف حصلت على هذه اللفافة ؟!

قال الحارس فى خوف بالغ :

ـ وجدتها فى قاعة من قاعات المعبد عندما كنت فى وردية حراستى !

مزق (حريحور) الرسالة وهو يصيح :

ـ وصلوا إلى المعبد أيضًا ، ليكن أيها الأوغاد ..

ثم إنه صاح فى الحارس :

ـ .. أبلغ جميع الحراس والجنود أننى أطالب برأس (رامو حتب) حيًا أو ميتًا !

ـ نعم يا سيدى ..

وانطلق الحارس ينهب بقدميه الأرض ، تاركًا سيده يلهث ، ويفكر ..

★ ★ ★

ثم بدأ عهد آخر بعد وقت قصير للغاية ..

عهد المقاومة والعمليات الفدائية ..

قاد (رامو) من مخبئه بين جبال (طيبة) الغربية الوعرة عددًا من الرجال ، عمدوا إلى خطف جنود وحراس المعبد ، وحرق المنشآت الحكومية ، وسرقة الأسلحة والغلال ، ونشر رسائل السخرية والتهكم من الملك الكاهن وأتباعه ، فلم تكن هناك عملية تتم إلا والأخرى تتبعها ، مما هز صورة الحكم المستقر بشدة ..

لكن (حريحور) لم يصمت ، لقد رفع الضرائب والمكوس على الشعب الفقير كأى طاغية يحترم نفسه ، وأوقع القبض العشوائى على المشتبه فى تعاونهم ولو من بعيد مع المقاومة ، كما أنه بطش بالمعتقلين وأذاقهم العذاب صنوفًا وألوانًا ، وبلغ به الأمر فى النهاية أن أعلن جائزة لمن يأتى برأس (رامو) ، وهى منح ما يعادل وزن حاملها ذهبًا !

ومع استمرار العمليات وتفاقمها برقت فكرة فظيعة أخرى



فى رأس (حريحور) ، ظن معها أن (رامو) سوف يأتى راكعًا ومستسلمًا ..

فكرة جهنمية فى الواقع !

★ ★ ★

ـ أنت تتعلم بسرعة يا (بعنخى) ..

قالها (حريحور) مخاطبًا تلميذه وساعده الأيمن فى شئون الكهانة ، فانحنى الشاب أمام معلمه قائلاً :

ـ الفضل لعبقرية معلمى أيها الكاهن الأكبر ..

قال (حريحور) وهو ينظر إلى طبق العنب الماثل أمامه دون أن يمد إليه يده :

ـ بل أنت الذكى يا (بعنخى) ، أضف إلى هذا طموحك المستعر المتلهف للصعود ..

ثم إنه غمغم لنفسه مردفًا :

ـ .. هكذا تدور الدائرة دائمًا ..

دلف حارس يعلن عن حضور الفارس (أور) ، فحدج الكاهن الأكبر تلميذه بنظرة خاصة خرج على إثرها ، ليدخل (أور) فى سمته الذى لا يتغير ، ولكنته المميزة إذ يقول :

ـ طلبتنى يا عزيزى ..

أجلسه ( حريحور ) بإشارة من يده وقال :

ـ بالفعل كنت أريدك فى أمر ما .. أمر مهم للغاية ، وفيه مصلحة عظيمة لك ..

جلس ( أور ) وقال :

ـ أسمعنى ..

ضرب ( حريحور ) قلب الموضوع مباشرة :

ـ ألا تفكر فى الزواج يا ( أور ) ؟!

استغرب الرجل وقع الكلمة على اذنيه :

ـ الزواج ؟!

ـ أجل ، أن يكون لك زوجة ومنزل وأسرة واحترام يليق بك أمام العامة ..

ضيق ( أور ) عينيه قائلاً :

ـ هات ما عندك دون إطالة يا ( حريحور ) ..

امتثل ( حريحور ) لطلبه :

ـ ما رأيك فى الأميرة ( نفرت ) شقيقة الملك السابق ؟!

صمت ، وابتسامتان نمتا عن تفاهم عميق !

★ ★ ★

## ٩

ـ ماذا ؟ أنا أتزوج من ( أور ) ؟!

نطقت بها الأميرة ( نفرت ) فى أقصى نبرات استنكار يحتملها صوتها الرقيق ، فى مواجهة ابتسامة ( حريحور ) الذى قال فى هدوء بارد :

ـ هذا أفضل لكِ قطعًا من حياة أمة مهانة ، لا تنسى أنك الآن تحملين لقب أميرة سابقة ..

قالت فى تحدٍّ سافر :

ـ الموت أهون لى من الحياتين لو تعلم ..

قال فى لا مبالاة :

ـ دعك من هذه البطولة الزائفة ، واستعدى للزفاف مساء غد ..

ثم غادر فى صمت بسّام ، بينما هرعت ( نفرت ) إلى شقيقها فوجدته شاردًا عن الدنيا ، منغمسًا فى تلك الحالة العجيبة التى أصابته منذ ليلة خلعه ، فلجأت إلى أقرب وصيفاتها إلى قلبها ..

ـ لابد أن يتدخل الفارس (رامو) فى هذه المصيبة قبل أن تقع ..

قالتها الوصيفة بلا تفكير ، فقالت (نفرت) فى جزع :

ـ أخشى أن ..

وخشيت إتمام عبارتها ، فشجعتها الوصيفة بقولها :

ـ سأذهب إليه فى الجبل الغربى وأخبره بما ينوى (حريحور) فعله .. لن يصمت بالتأكيد ، وسيجد طريقة يفسد بها مخططه ..

ـ ليكن ..

قالتها (نفرت) فى غير اطمئنان وهى تداعب الجعران الذهبى النائم على صدرها ، شاعرة بأن فى الأمر خطأ ما ، ومحاولة تجاهل فكرة أن كل هذا ما هو إلا وسيلة لاستدراج الشاب الثائر ..

ثم ..

★ ★ ★

فى ظهيرة اليوم التالى بلغ النبأ (رامو) ..

وجد الوصيفة فى انتظاره بعد أن أمضى الليلة بطولها



خارج الكهف ، ليؤدى إحدى العمليات الفدائية ، ومنها عرف كل شىء ..

ـ لاتقلقى ، وأخبرى الأميرة (نفرت) بأننا سنفعل المستحيل من أجل أن نفسد هذا الزفاف الباطل ..

ثم إنه تبسم للوصيفة قائلاً :

ـ .. يمكنك البقاء معنا حتى نبحر إلى الشرق عبر مياه النيل معًا ..

قالت الوصيفة باسمة :

ـ يسعدنى هذا بالطبع ..

هنا تعالى صياح ينادى باسم (رامو) ، والتفت (رامو) ليجد صديقه (نفر) يعدو نحوه ثم يسقط امامه من فرط التعب ..

ـ ماذا حدث يا (نفر) ؟!

لهاث مستعر :

ـ صديقاك .. (كاف) .. و .. (بازى) ..

ـ ماذا حدث لهما ؟!

ـ وقعا فى أسر حرس المعبد ، وهم يذيقونهما صنوف العذاب الآن من أجل الاعتراف بموقع مخبئنا السرى هذا ..

نهض ( رامو ) هاتفًا فى بأس :

ـ هلموا بنا إذن ، لن نتركهما يموتان فى أيدى هؤلاء الزباتية ..

تجمع الرجال من حوله ، ونظرت الوصيفة لما يجرى فى قلق ، فطمأنها ( رامو ) بقوله :

ـ .. لاتقلقى ، سنكون عند الأميرة فى الوقت المناسب ..

★ ★ ★

بعد معركة عنيفة مع حرس المعبد ، تعالت الهتافات :

ـ ( رامو ) جريح ..

ـ ( رامو ) إصابته بالغة ..

ـ ( رامو ) يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

ـ ( رامو ) يحتضر ..

ـ مات ( رامو ) !

★ ★ ★



ـ ماذا تقولين ؟!

نطقت بها الأميرة ( نفـرت ) مشدوهة ، وهى تحدق فى وجه وصيفتها الباكى ..

ـ هذا ما سمعته هناك يا مولاى ..

رددت ( نفرت ) كأنها تحاول إقناع نفسها بالأمر :

ـ ( رامو ) .. مات ؟!

عادت الوصيفة تنشج ، وأمسكت الأميرة بالجعران الذهبى ..

واستقرت على قرارها الأخير ..

★ ★ ★

ـ لماذا تأخرت العروس ؟!

تساءل ( حريحور ) وهو يدلف إلى مخدع الأميرة ، لكنه لم يجد هناك إلا الوصيفة التى انتفخت عيناها من البكاء وشل لسانها من هول الصدمة ..

أشارت إلى السرير ، وعندما اقترب الكاهن الأكبر منه وجد الأميرة راقدة فوقه فى سكون وهى تحتضن جعرانها الذهبى ..

سكون من فارق الحياة ، مختارًا ..

★ ★ ★

فجأة انفتحت عينا (رامو) ، ونهض وسط رجاله غارقًا فى العرق والذهول ..

ـ لقد أفاق ..

ـ كانت غيبوبة ..

ـ إنه بخير ..

سألهم (رامو) ذاهلاً :

ـ ما الذى حدث ؟!

أجابه صديقه (نفر) :

ـ اشتبكنا مع حراس المعبد وبينما نخلص (كاف) و(بـازى) من براثنهم أصبت أنت إصابة أفقدتك الوعى حتى ظن البعض أنك ..

لم يجد (نفر) أنه من اللياقة أن يكمل ، فاكتفى بالإرداف :

ـ .. المهم أنك بيننا الآن ، حى ترزق ..

عاد (رامو) يسأل ذاهلاً :

ـ والصديقان ؟!

أشار (نفر) إلى عدد من الرجال المنكبين حول جسدين ممددين على أرض الكهف :



ـ هاهما ذان ، عذبوهما الأوغاد كثيرًا ، نعمل على علاجهم الآن ..

نظر (رامو) إلى المشاعل المتقدة من حوله ، سائلاً :

ـ فى أى وقت من اليوم نحن ؟!

أجابه (نفر) :

ـ غربت الشمس منذ وقت غير بعيد ..

تدفقت الحيوية دماء فى شرايين (رامو) ، فقفز واقفًا وهو يهتف :

ـ تأخرت على الأميرة ..

حاول (نفر) إثناءه :

ـ انتظر ، أنت ما زلت مصابًا ، يمكننا أن ..

لم يدعه (رامو) يكمل إذ انطلق يقول :

ـ سأكون عند المعبد الكبير ، اجمع أى عدد متوفر من الرجال والحقوا بى هناك ..

وأمام عيون الجميع تدثر بعباءته ، وهرع إلى الخارج ، تاركًا الجميع يتبادلون نظرات مفعمة بالقلق ..

★ ★ ★

المعبد شعلة من الضوء فى جوف الليل ..

الجموع تحيط به من جميع الجهات ، إيذانًا بالزفاف الموعود : هكذا فكر ( رامو ) وهو يندس وسط الناس ، بعد إذ انزلق من الشاطئ الغربى على متن قارب صغير ..

لاحظ وجومًا وصمتًا مبينًا يحلق على الرءوس ، ورأى دمعًا متحجرًا فى المآقى الناظرة ، عزى ذلك لرفض العامة زفاف أميرتهم الرقيقة إلى وغد قذر مثل ( أور ) ، وأخذ يخترق الزحام فى محاولة للوصول إلى قلب المعبد ..

ارتطم بأكثر من كتف ، وألقى بعبارات أسف كثيرة بلا مقابل ، حتى بلغ مكانًا استطاع منه أن يلمح بعضًا مما يدور على المنصة العلوية ، حيث ( حريحور ) يقف ساكنًا وبجواره حليفه ( أور ) ، ولا أثر لـ ( نفرت ) ..

سأل أحد الواقفين بجواره :

ـ ألم تحضر العروس بعد ؟!

أتته الإجابة مقتضبة ومغلفة باليأس :

ـ لن تحضر العروس أبدًا ..

تعجب ( رامو ) متسائلاً :

ـ هل تم إلغاء الزفاف أم ماذا ؟!



إجابة أخرى مقتضبة ومغلفة باليأس :

ـ بالفعل تم إلغاوه ، وتحويله إلى مأتم عزاء ..

انعقد حاجبا ( رامو ) سائلاً :

ـ ماذا تعنى ؟!

ـ ألم تسمع بالنبأ بعد ؟!

وأتته الإجابة يائسة مغلفة بالاقتضاب :

ـ .. الأميرة ( نفرت ) انتحرت !

انشق ( رامو ) نصفين ، انشطر قلبه وتمزقت روحه وتبخرت حياته فى لحظة قصيرة خاطفة ..

ـ .. ذلك الصندوق هناك أمام ( أور ) ، تحول من صندوق شوار إلى تابوت لها ، ترقد فيه الآن بأمان ..

ـ لاااااااااااااا ..

صرخة من قلب الزحام ، وسهم شق طريقه نحو المنصة غير عابئ بالأكتاف أو عبارات الأسف ، ودمع ينهمر مدرارًا كسيل العرم ..

قفز ( رامو ) إلى المنصة دون أن يدرى كيف ، وجثا أمام عينى ( حريحور ) و( أور ) بجوار التابوت المفتوح ، ملقيًا بنظرة الوداع الأخيرة على نديمة الروح الأخيرة ..

(نفرت ) التى تحتضن جعرانها الذهبى قبل الدخول إلى غرفة التحنيط ..

بلل دمعه وجهها البارد وأطرافها الثلجية ، فيما توترت ملامح الرجلين أمامه دون أن يدريا كيف يمكنهما التصرف أمام هذا الجمع الغفير ..

نهض (رامو ) أخيرًا ، مواجهًا (حريحور ) وتابعه ( أور ) ، هاتفًا :

ـ وقت الحساب أيها الكاهن الأكبر ..

امتقع وجه (حريحور ) ، ونظر إلى ( أور ) مستغيثًا ، ليغيثه الأخير بقوله :

ـ أنت المتمرد إذن ، وقد جئت إلينا بقدمك ..

هتف (رامو ) فى صرامة :

ـ جئت أبحث عن ثأر الذين قتلوا دونما ذنب اقترفوه ..

أمسك ( أور ) بحربته صائحًا :

ـ كن رجلاً إذن وأثبت استحقاقك لفروسيتك .. نازلنى ..

دوت صفارة مميزة من بين الجموع ، التفت إليها (رامو ) ليرى رمحًا طائرًا نحوه فى هواء المعبد ، سرعان ما قبض بأصابعه عليه وقد لمح بين الصفوف (نفر ) وبعض رجاله ..



لقد جاءوا فى موعدهم إذن ..

وبدأت المواجهة بين ( أور ) و(رامو ) المكلوم ..

انهالت الرماح ، توترت العضلات ، علت الهمهمات ، كان ( أور ) يدافع عن نفسه كأمير جيش من الفرسان المرتزقة ، و(رامو ) يهاجم بقوة الفجيعة التى تحرك دواخله ، وتجعله يكتشف فى نفسه قوة لم يأنسها فيها من قبل ..

انهالت الرماح ، توترت العضلات ، علت الهمهمات ، وتسلل (حريحور ) هاربًا من فوق المنصة بعد أن ظهر رجوح كفة (رامو ) ، الذى انهال بالرمح على غريمه فأطار رمحه ، ثم طعنه طعنة نجلاء فى صمميم الصدر ، فخر المرتزق ساقطًا مضرجًا فى دمائه ..

صفق الواقفون فى حماسة وهللوا ، وقد أنستهم فرحة سقوط الطاغية الأجير حزنهم الوقتى على الأميرة النائمة ، واشاروا إلى الكاهن الهارب تحت جنح الظلام ..

ـ (حريحور ) ..

ـ لحق به قبل أن يفر ..

ـ اشف غليل صدورنا منه أيضًا ..

لم يكن (رامـو) فـى انتظـار التشـجيع ، فقـد انطلـق مـن فوره خلف الكاهن الذى بلغ شاطئ النهر عدوًا ، ودفع قاربًا صغيرًا من البردى آملا فى النجاة بوساطته من الغضب الكاسح الذى يطارده ..

ركض خلفه (رامو) ، وحمل الرجال الواقفون المشاعل من فوق جدران المعبد دون أن يجرؤ الحراس على منعهم ، وركضوا فى إثر الشقيقين ، مستعينين بضياء النيران على الظلام والخوف ..

وإذ بلغ (رامـو) حافة النهر كـان (حريحور) قد بلـغ منتصفه ، فقفز الأول إلى الماء ليختفى تحتـه تمامًا ، بينما وقف الجمع من حاملى المشاعل على الضفة يحاولون الرؤيـة ، فانعكس وهج النيران والوجوه فوق صفحة مياه النهر التـى لم تعد راكدة ..

علـى متن القـارب كـان (حريحـور) يلهـث وقـد تـرك المجدافين ، وأخذ يحدق فى الماء من حولـه محاولاً رؤيـة الجهـة التـى يقتـرب منهـا (رامـو) .. أخذ يراقب أى ميـاه تتحرك أو تحاول التحرك ، لكن النهر كان هادئًا من جميـع الجهات .. هادئًا تمامًا ..

وفجأة ..



انشق الماء عن (رامو) المبتل ممسكًا بطرف القـارب ، ثم متسلقًا إياه فى سرعـة ومهـارة حتـى أقعى فى النهايـة أمامه عند الطرف الآخر من القارب ..

شهق (حريحور) فى فزع رهيب ، وتراجع فى جلستـه لكنه لم يجـد متسعًا للحركة ، فيما وقف (رامـو) كأنه بطل أسطورى أمامه هاتفًا بنبرة حارقة :

ـ وقت الحساب مرة أخرى يا (حريحور) ، ياكاهن المعبد الأكبر ..

اقترب منه (رامو) و(حريحور) يحاول الابتعـاد ، حتـى أطبق (رامـو) بأصابعـه علـى رقبـة أخيـه الأكـبر ، زائـرًا كالليث :

ـ .. أراك مستعدًا للدفع ..

خرج الصوت من (حريحور) على هيئة حشرجة مكتومة :

ـ الرحمة !

والتقت العيـون ، فـرأى (رامـو) فى عينى أخيه انكسارًا وذلة ، ولمح طيفًا بعيدًا مـن أيـام لـن تعـود ، فلانت قبضتـه

قليلاً حول الرقبة ، وسقط ( حريحور ) يلهث ويعب الهواء فى قاع القارب ..

قال ( رامو ) أخيرًا :

ـ سأجد وسيلة أخرى لدفع الحساب يا ( حريحور ) ..

لهث ( حريحور ) قائلاً :

ـ بالتأكيد .. بالتأكيد ..

قال ( رامو ) مرسلا بصره إلى الواقفين عند الشاطئ :

ـ سنحاكمك محاكمة عادلة ، ثم ..

ولم يكمل ( رامو ) عبارته ..

لم يكملها أبدًا ، إذ انغرس فى صميم قلبه سن عاجى مدبب مربوط فى قلادة من الخرز ، كانت حول رقبة أخيه الكاهن ، وحول رقبته ورقبة أخيه الصغير من قبل ..

جحظت عيناه ، وشهق فى محاولة أخيرة للبقاء عبثًا ، وكان آخر ما آره هو عينى أخيه الأكبر الشرستين ، بعد أن غرست يداه السن العاجى فى قلب شقيقه ..

ـ أنا المنتصر يا .. أخى !



نطق بها ( حريحور ) فى شراسة ، بينما سقط ( رامو ) فى قاع القارب ، نازفًا حياته ..

ـ .. لا أحد يهزم ( حريحور ) .. لا أحد !

انتفض ( رامو ) كطير مذبوح ، قبل أن ..

ضحكة ( حريحور ) الشرسة ..

قبل أن ..

ضحكة عالية ..

قبل أن تفيض روحه ، معانقة روح أخيه ومحبوبته ..

ضحكة عالية شرسة ..

ثم سكن كل شىء ..

ولم تبق إلا النظرات الغاضبة التى وجهها الواقفون عند الضفة إلى ( حريحور ) ، الذى أيقن أنها نهايته فى كل الأحوال ..

★ ★ ★

# ١٠

الجمـوع الغفـيرة فـى سـاحة المعبـد ، الكـاهن الأكـبر (بعنخى) يقف على منصة الكهانة العليا بنظرات متجهمة ، و(حريحور) مقيد أمام مذبح القرابين ..

ـ وهكذا فلابد أن تتحقق العدالة مهما كان الثمن باهظًا ..

قالها (بعنخى) مراقبًا المقت فى كل عين ..

و(حريحور) مستكين فى قيـوده ، مستسـلم ــ علـى ما يبدو ـ لمصيره المحتوم ..

أو لعل عقله يأبى التصديق !

أعلن (بعنخى) :

ـ الآن ، تتم العدالة .. وينال الآثم جزاءه بـالموت على مذبح القرابين .. إن روحه ستصعد قربانـا آخـر للإلـه علـه يعفو عنه وعنا ..

ذاهلا غمغم (حريحور) :

ـ هكذا تدور الدائرة دائمًا ..

تجاهل (بعنخى) قوله ، وبدافع من النيران المستعرة فى أعماق الواقفين جميعًا أشار لرجاله ، فتقدم أحدهم يحمـل سيفًا لـه نصل لامع ، قربه من رقبة (حريحور) ، وفى لحظة واحدة ..



علت الصرخات المستحسنة ، وتدفق الدم غزيرًا عند المذبح ..

لم يتفرق الواقفون بعدها ، وإنما تحلقوا جميعًا حول التـابوتين الخارجين من ساحة المعبد إلى البر الغربى حيث مدينة الموتى ..

سار المشيعون خلف النعشين ، وهم يرددون أغنية وداع جميلة ، أتت وليدة اللحظة ، كلمـة فـأخرى ونغمـة فـأخرى ، ثـم ترنيمـة عاليـة يرددهـا الجميـع فـى إيقـاع حزيـن ، وهـم يسيرون خلف نعش البطل ومحبوبته إلى الشاطئ الآخر ..

(رامو) ..

و(نفرت) ..

اللحن الذى لم يكتمل أبدًا ..

والحلم الذى سيحلمه الحالمون على مر الأزمان ..

والأمل فى غد أكثر جمالاً وأقل قبحًا ..

(رامو) ..

و(نفرت) ..

المأساة حين تتخلق فى رحم من الأمانى العذبة ..

الطعنة حين تأتى فى مهجة القلب ، فتدمى الروح ..

واليأس حين يعصف بالأمل الجميل ..

(رامو) ..

و(نفرت) ..

سار الموكب ، وحُمل النعشان فى قارب واحد ، راقبته من بعيد عينا امرأة دامعة فى قارب آخر ..

عينا (تايا) ، آخر من تبقى فى خضم الكارثة ..

وفى أحضانها وليدها الذى لم تسمه بعد ..

ما زالت تذكر كلمات (رامو) ..

(.. لاتزرعى فى قلبه بذور الحقد والكراهية السوداء منذ طفولته حتى يشب فلا يرى أمامه إلا الدم والانتقام .. )

(.. اجعلى منه بناء للحياة ، لا شبح موت .. ) ..

ستفعل ، وستنفذ وصية (رامو) البطل ..

سيشب الطفل ، ويصبح آخر ملوك مصر العظام (بسماتيك) ..

سيؤسس آخر الأسر الملكية فى تاريخ مصر الفرعونية ..

وإن غدًا لناظره ، قريب ..

★ ★ ★

[ تمت بحمد الله ]

# روايات مصرية للجيب

## سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

محمد سليمان عبد المالك

# العائد

دراما ملحمية من مصر الفرعونية فى آخر عصور قوتها ، قبل أن تدور عليها دوائر الضعف والسقوط ..

إن ( رامو ) البطل عائد من الحرب ؛ ليجد أن ( طيبة ) التى يعرفها قد تغيرت كثيراً ، وليواجه تحديات صعبة لا قبل لبشرىَ بتحملها ، فهل يستطيع أن يعيد إلى ( طيبة ) مجدها المفقود ؟! أم أن الدوائر تدور عليه أيضاً مع الباقين ؟!

الثمن فى مصر ٢٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مطابع سلاح التلميذ